الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس – المدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

سردية الخبـــر فــي أدب الرحلـــة
الرحلة الورثلانية أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- مكيد صابرينة
- زيان منال

إشراف الدكتور: سرير محمد

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الصفة	الجامعة
د/ زكرياء يوسف الرحماني	رئيسا	يحي فارس
د/ سرير محمد	مشرفا	يحي فارس
د/ واكد عبد القادر	مناقشا	يحي فارس

السنة الجامعية: 2022 – 2023

إهداء

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد والشكر بعد الرضى ولك الحمد والشكر اذا رضيت أتقدم بإهداء عملي المتواضع إلى من قال فيهما :

" وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا "

سورة الاسراء–الآية 24.

أحمد الله مخرج النور بعد الظلام أحمد ربي رزقني حسن المسير كلمات شكر وامتنان لمن كانوا لنا مثل الشموع في الليالي المظلمات أهدي تخرجي لوالدي العزيز الذي سار معي في كل حرب وكل طريق لأصعد به إلى طريق النجاح.

أهدي تخرجي وأرفع قلمي وأهدي هذه الكلمات المعبرة عن حبي وامتناني لأمي بفضلها ومساعدتها لي بالنجاح والتفوق ... أقول وانا سعيدة ألف ألف ألف شكر على مساعدتي والله لولا مساعدتك لي وكلامك الرائع الذي جعلني اتمسك بالأمل في النجاح والدراسة جيدا والتفاؤل والصبر والوقوف بجاني ماديا ومعنويا.

إلى اخواتي سهام وإمامة، إلى استاذي الفاضل محمد سرير الذي كان له الفضل في توجيهي وإرشادي في إنجاز بحثي، إلى زوج أختي حفظه الله ورعاه، إلى ابنة اختي إسراء قطعة من قلب أختي حفظك الله وأدام عليك تلك الملامح الجميلة يا حبيبة القلب إلى صديقتي " منال "، إلى كل من سقط سهوا من قلمي ولم يسقط من قلبي .

"صابرينة"

إهداء

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى أما بعد بتوفيق من الله وحفظه لي من كل سوء يصيبني وبعد جهد كبير وتفاني في العمل أهدي ثمرة عملي إلى والديّ الاعزاء حفظهما الله لي إلى نبع الحنان وإلى اصدق انسان لي امي الحبيبة جزاها الله خير الجزاء، وإلى ذلك الوجه الصافي المتميز الذي انار درب حياتي إلى ابي الغالي على قلبي أطال الله في عمره . كما اهدي هذا العمل المتواضع إلى اخواتي وإلى من قاسمني التعب والشقاء وكانت لي عونا زميلتي في البحث صابرينة وإلى صديقاتي العزيزات اللواتي شاركتني أفراحي واحزاني.

قال تعالى:" رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِين "، وفي الأخير تم توقف الكلمات عاجزة عن التعبير في حق شكر الدكتور المحترم سرير محمد على قبوله إشراف على هذه المذكرة وعلى ما قدمه لنا من نصائح وتوجيهات قيمة وإرشادات مستنيرة .

"منال"

مقدمـــة

مقدمة:

عرف الإنسان الرّحلة منذ وجوده مارسها العرب في عهودها الأولى كفعل طبيعي أُنجزِ لظروف وأسباب معيشية مختلفة فالرّحلة نوع سردي عربي عريق، قَدَّمَ فيه العرب تراثا مهما في فترات ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، فقد اهتموا قديما بهذا النوع من الأدب اهتماما واضحا فتمّ تسيير العديد من الرحلات الإستكشافية للتعّرف على المناطق والبلدان المحيطة بهم ويُعتبر كل من الإدريسي والمسعودي وابن بطوطة والورثيلاني من أشهر رحالة العرب الذين اهتموا بتوثيق رحلاتهم وكتابة القصص التي حصلت معهم في الأماكن التي ذهبوا إليها، ومنهم من اهتم بجغرافية تلك الأماكن فَعَمَلَ على رسم الخرائط التي تُقدِّم وصفا للتضاريس.

فالتنقّل بين القارات والأقاليم وسيلة راقية لكسر الجليد بين الشعوب وتحقيق التلاقح الثقافي والاعتبار من تجارب الآخرين لضمان غَدٍ أفضل.

وَيضّلُ أدب الرّحلة موّثقًِا لهذه التجارب وشاهدا على هذه الاختلافات بين الشعوب.

وتعد رحلة " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" للحسين بن محمد الورثيلاني من أهم الرحلات في تراثنا الجزائري التي تُعتبر من أحسنِ ما ختم به القرن الثامن عشر هجري إذ أسهمت في نقل الكثير من الصور الجميلة والمشاهد المميزة لتلك البقاع المقدسة والأماكن والمدن التي مروا بها، وطبيعته الجغرافية وظروفها المعيشية وتقاليدها و ثقافتها وأحوال شعوبها وزيارة المعالم والآثار المقدّسة ولقاء العلماء و الأفاضل ، كما عُنِيَ ببعض الجوانب خاصة النواحي الاجتماعية والدينية والسياسية والتاريخية لتلك البلاد كما تضمّنت بعض المعلومات التي لا يستغني عنها المؤرّخ أو جغرافي أو أديب فهي بحق تعتبر من أوسع البرامج والفهارس العملية.

ومن الأسباب التي دفعتنا التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع نذكر منها:

- الفضول والرغبة في دراسة هذا النوع من الأدب السردي الرّحلي لما تحتويه من أخبار وقصص شيّقة ومتنوعة.
- أهمية أدب الرحلة عند العرب في تصوير البلدان ونقل مختلف ثقافات وعادات الشعوب.
- قلة الدراسات في مجال أدب الرحلة في الجزائر.

والهدف من دراستنا لهذا الموضوع هي: كيفية تجلّي السرد والخبر في رحلته والتعرّف على الشيوخ والأولياء الصالحين، وتصوير المدن والأماكن التي زارها خلال رحلته.

مما جَعَلنَا نُسلِط الضوءَ عليها ونُخَصِصُ لها هذه الدراسة التي تحمل بعنوان "سردية الخبر في أدب الرحلة ، الرّحلة الورثيلانية" للشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني، ومن هنا نطرح الإشكالية الآتية:

- كيف تجلّت قيمة الخبر في النص الرّحلي ؟
- وللإجابة على هذه الإشكالية فقد قسّمنا بحثنا إلى فصلين يسبقهما تمهيد وتليهما خاتمة ،تطرقنا فيها إلى أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.
- مقدمة تحدثنا فيها عن الموضوع بصفة عامة، مع طرح الإشكالية بالإضافة إلى عناصر المقدمة الأخرى.
- الفصل الأول المعنون ب : السرد والخبر في أدب الرحلة، وقسمناه إلى مبحثين، تطرقنا فيهما إلى مفهوم السرد والخبر.
- أما الفصل الثاني فخصصناه للجانب التطبيقي المعنون ب: أبعاد الخبر في الرحلة الورثيلانية للشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني
- فقسمناه إلى مبحثين المبحث الأول ذكرنا فيه الخبر الديني والاجتماعي أما المبحث الثاني فتناولنا فيه الخبر السياسي والتاريخي.

- وأنهينا بحثنا بخاتمة رصدنا فيها مجموعة نتائج التي توصلنا إليها وأرفقناها بملاحق وفهرس للموضوعات.
- أما المنهج المتّبع هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يقتضي منّا تتبّع مسار الرحلة وتحليل عناصرها بغية تقريبه من القارئ.
- ومن المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في دراستنا نذكر منها:

كتاب رحلة التيجاني لأبو أحمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني ،وكتاب العبر لابن خلدون وقد واجهتنا بعض الصعوبات المتمثّلة في قلّة الدراسات في هذه الرحلة وصعوبة استغلال المراجع المتوفرة.

وفي لأخير نتوجه بالشكر للمولى عز وجلّ الذي وفّقنا في انجاز هذا العمل ونخصُّ بالشكر أستاذنا الفاضل محمد سرير على إشرافه وتوجيهاته الحكيمة كما نتوجه بشكرنا لكل أعضاء لجنة المناقشة على سهرها في دراسة بحثنا هذا.

الفصل الأول: السرد والخبر

في أدب الرحلة

تمهيد:

كان أدب الرحلة ومازال مثَار اهتمام لدى كثير من الدارسين والباحثين على مرّ العصور، ومن مختلف المُنطلقات الجغرافية والأنثروبولوجية والأدبية، وقاربوه بأساليب نقدية متنوعة، وفنّ الرحلة فنّ مُوغِل في الزمن والقدم، عرفته الشعوب قديما" فالعرب عرفوا الرحلة منذ عصور متقدمة وهو ما عُرِفَ عندهم برحلة الشتاء والصيف [1].

يُعَدُّ أدب الرحلة وعاءًا معرفيًّا يضُمّ مختلف أنواع الثقافة الإنسانية، وهو الوصف الأكثر تعبيرا والأنسب معنى حين يتحدثُ أحدٌ عن ترابط المجتمعات وتأثّرها ببعضها وتلاقح الحضارات واشتباك ثقافاتها، ففي أدب الرحلة مادة خصبة لكلّ المهتمين بالتاريخ والنُّظم السياسية وأنماط الحياة الاجتماعية، وقد رصدّت من خلاله آثار التمايز والتأّثر والتأثير بين الحضارات والشعوب، وما كتب فيها يُعَدُّ وثائق إنسانية مهمة لتبيان الحقائق والاطلاع على روافد المعرفة ومخرجاتها.

وأدب الرحلة من الفنون النثرية القديمة التي عُنِيَ بها الباحثون والدارسون، مما دعا بعض الباحثين إلى القول أن:" فن الرحلة لون أدبي ذو طابع قصصي، فيه عموما فائدة للمؤرّخ مثل الباحث في الأدب، والجغرافي وعالِم الاجتماع كما هو ضربٌ من السيرة الذاتية في مواجهة ظروف وأوضاع، في اكتشاف معالم وأقطار ووضعها، والحُكْمِ عليها وعلى المجتمع حكّامًا و مواطنين، فهو وصف في النهاية لكل ما انطبع من ذلك وسوّاه في ذهن الرّحالة عبر مسار رحلته وفي احتكاكه بالمحيط، يتآزر في ذلك الواقع والخيال ، وأسلوب القص والحقائق العلمية التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية وغيرها [2]، ففن السفر هو

---

[1] ينظر، حسين فهيم، أدب الرحلات، سلسلة (عالم المعرفة) 138، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1989م، ص 79.

[2] عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وأنواعا وقضايا)، ديوان المطبواعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ط2، السنة 2009 م، ص97.

فن أصيل في الأدب العربي بشكل عام والأدب الجزائري بشكل خاص، حيث ازدهر هذا الفن في العصر العثماني، وأثناء سفرهم يشرح المسافرون أوضاع مجتماعاتهم ويعرّفون البلدان التي سافروا إليها، ويصفون الطريق الذي سلكوه خلال رحلتهم.

ومن المعروف أن التراث العربي القديم يشتمل على عدد من المدونات السردية والخبرية، وقد شكّلت هذه المدونات جانبا مهما من جوانب دراسة سرد العرب القديم، ولذلك توجهت كثير من الأبحاث والدراسات التي تناول الأنواع السردية والخبرية التي تضمّنتها هذه المدونات بالاعتماد على مناهج مختلفة تناسب مع نوع المادة السردية وموضوعاتها، فالأخبار التاريخية عادة ما تتّسم بطابع التأْريخ والتوثيق وتسردُ لتحقيق أهداف معرفية وتربوية، وتسعى الأخبار الأدبية إلى إحداث أثر في نفس المتلقي ويتحقق هذا الأثر من خلال طريقة التعبير عن الواقع بأساليب فنية وجمالية مختلفة، ويقدّم الخبر أحداثه حسب نوع الخبر.

المبحث الأول: مفهوم السرد والخبر في أدب الرحلة

المطلب الأول :تعريف السرد الرّحلي

السرد مجال واسع يغرس فيه الإنسان لما يشاء، فهو حاضر في كل زمان ومكان، فالسرد هو طريقة لعرض الأحداث المتّصلة من أجل سرد قصة جيدة، سواء كانت مقالا سرديا أو سيرة ذاتية أو روائية، فهو يُوَّحِدُ الأحداث المتميزة حسب المفهوم أو الفكرة أو الحِبكة.

ونظرًا لما للسرد من أهمية في الأدب العربي، وجب في هذا الصدد التطرّق والتعرّف على مفهومه اللغوي والاصطلاحي.

1 مفهوم السرد :

أ- لغة:

جاء في مختار الصحاح: (سَ، رَ، دَ): ذِرْعٌ (مَسْرُودَةٌ)، و(مُسَرَّدَةٌ) بالتشديد، فقيل سردها نسْجُها وهو تداخل الحلق بعضها في بعض، وقيل(السَرْدُ) الثَقْبُ و(المَسْرُودَةُ) المَثْقُوبَةُ.

وفلان (يَسْرُدُ) الحديث، إذا كان جيد السياق له، و(سَرْدُ) الصوم تابعه، وقولهم في الأشهر الحُرُمِ: ثلاثة (سَرْدُ) أي متتابعة وهي ذو القعدة وذو الحجة، والمحرّم وواحد فَرْد وهو رجب، و(سرد) الدرع والحديث والصوم كله من باب نَصَرَ[1].

وجاء في لسان العرب لابن منظور السرد: هو تقدمه الشيء إلى شيء تأتي به متّسقا بعضه في أثر بعض متتابعا[2].

[1] مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مادة، سرد.

[2] لسان العرب، لابن منظور ، دار الصدر، بيروت، لبنان، المجلد7، ط1، د،ت.

واستُعير هذا التناسق والتتابع لنظم الحديد كما في قوله تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " [1]

"أي أجعل المسامير على قدر خُرُوق الحلق، لا تغلظ فتنخرم ولا تدّق فُتقلق[2]، أي لا يكون المسمار دقّيا والثُّقْبُ واسعا.

هذا ما دار التعريف اللغوي لمادة: "سَرَدَ" في المعاجم تقريبا بين التتابع، التواصل والإيصال، وهي حركة زمنية بين أجزاء التواصل، نسج وتداخل الحلق، مع جيد السياق المزاحم للتتابع.

ب- اصطلاحا:

هو خطاب يقدّم حدثا أو أكثر[3]، وهو الحديث عن سلسلة من الوقائع والمواقف [4] وهو صيغة من صيغ التعبير والتخاطب البشرى، وحدث برويه شخص ما عن شيء ما وليس مجرد حدث مروي، أي أنه خطاب يقدم أحداثا متسلسلة غير متناقضة أو متعارضة عبر راوٍ أو مخبر، يأخذ على عاتقه مهمة ترتيب هذه الأحداث ترتيبا منطقي[5].

---

[1] سورة سبأ، الآيه (11).

[2] أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: المخزومي وإبراهيم السمرائي، 7، ص 226.

[3] جيرالد برنس،قاموس السرديات،تر:السيد إمام،ميريت للنشروالمعلومات،القاهرة،ط1،2003م،ص122.

[4] جيرالد برنس،المصطلح السردي(معجم مصطلحات)،تر:عابد خزندار،مروتق:محمد بربري،حقوق الترجمة و النشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،عد:268،ط2003،1م،ص144.

[5] مها فاروق عبد القادر أحمد نزهت الهنداوي،المكان في الموروث السرد العربي,دراسة تحليلية،أطروحة دكتوراه،أدب عربي،العراق،كلية التربية ابن رشد،جامعة بغداد،2003م،ص10.

والأصل في اشتقات مصطلح السرد(narration) أو (narrative) من الفعل (narre) بمعنى يسرد، ومعناه الأصلي «التفسير والإخبار والتعليق على الأحداث».[1]

والسرد مصطلح نقدي حديث يعني:" نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية، وهو الفعل الذي تنطوي فيه السّمة الشاملة لعملية القصّ وهو: كل ما يتعلق بالقصّ[2].

أما سعيد يقطين فيعرفه بأنه "فعل لا حدود له ،يتّسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية يبدعه الإنسان أينما وجد و حيثما كان".[3]

السرد إذن هو أسلوب من الأساليب المتّبعة في القصص والروايات وكتابة المسرحيات وهو أسلوب ينسجم مع طبع الكثير من الكتّاب وأفكارهم بسبب مرونته ويُعد أداة للتعبير الإنساني، ويقوم الكاتب بترجمة الأفعال والسلوكيات الإنسانية والأماكن إلى بنى من المعاني بأسلوب السرد، وبذلك يكون الكاتب قد قام بتحويل المعلومات إلى كلام مع ترتيب الأحداث، ليس المقصود هنا الكلام غير المنتظم الذي لا يوجد فيه ترتيب للأحداث أو ذلك الذي فيه انعدام الانسجام بين كلماته وحمله ومعانيه.

ويذهب عبد الملك مرتاض إلى أصل السرد في اللغة العربية: هو التتابع الماضي على سيرة واحدة وسرد الحديث والقراءة من هذا المنطلق الثقافي، ثم أصبح السرد يطلق في السرد القصصي على كل من خالف الحوار ثم لم يلبث أن تطوّر مفهوم السرد في الغرب إلى معنى اصطلاحي أهم وأشمل بحيث أصبح يطلق على النص الحكائي والروائي والقصص برمته، فكأنه الطريقة التي يختارها الراوي أو القاص أو حتى المبدع الشعبي ليقدم بها الحدث

---

[1] أحمد رجم كريم الخفاجي،المصطلح في النقد الأدبي العربي الحديث،رسالة ماجستير في آداب اللغة العربية،كلية التربية،جامعة بابل، العراق،2003م،ص25.

[2] آمنة يوسف،تقنيات السرد في النظرية و التطبيق,دار الحوارللنشروالتوزيع،الجزائر،ط1997،1م،28.

[3] جيرارجنيت،عودة إلى خطاب الحكاية،تر:محمد معتصم،المركز الثقافي،بيروت،لبنان,ط2000،1م،ص19.

إلى المتلقي، فكأن السرد وامتداد الحكاية قراءة في نصوص جزائرية[1]، والسرد بمفهومه العام هو جزء من نظرية ناشئة تطمح إلى أن تكون علما قائما بذاته له مناهجه وأسسه لذلك أصبح هذا المصطلح بمفهومه الشامل يزاحم العلوم الأخرى، وأطلق على نفسه علم السرد[2].

وتُعنى السردية" باستنباط القواعد الداخلية للأجناس الأدبية واستخراج النُظم التي تحكُمها وتوجه أبنيتها وتحدد خصائصها وسيماتها[3].ووصِفت بأنها نظام نظري غني وخصيب بالبحث التجريبي[4]،وهي تبحث في مكونات البنية السردية من راو ومروي، ومروي له ، و لما كانت بنية الخطاب السردي نسجا قوامه تفاعل تلك المكونات أمكن التأكد على أن السردية هي المبحث النقدي الذي يُعنى بمظاهر الخطاب السردي أسلوبا وبناء ودلالة[5] فالسردية علم معنيٌ بدراسة الأنواع الأدبية وقواعد النظام التي تحكمها فهي علم قائم على دراسة المحْكي وبنيتها الداخلية التي ترسم الخصائص الفنية، والسمات المكونة للعناصر الأدبية أو الشعرية المنطوقة.

---

[1] عبد القادر بن سالم، السرد وامتداد الحكاية، قراءة في نصوص جزائرية وعربية معاصرة منشورات اتحاد الكتاب الجزائرية، ط1، 2009، ص9.

[2] عبد الله إبراهيم، السردية العربية البحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي،المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1992، ص9.

[3] تزفيتان تودوروف، الشعرية،، تر، شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، الدار البيضاء، 23، وأديث كيرزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، بغداد، ص 283.

[4] تودروف و أو سفالد دوكرو، القاموس الموسوعي لعلوم اللغة، ص 79.

[5] عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2008،ص 8.

كما نجد أيضا : "خاصية معطاة تُشخِّص نمطا خطابيا معينا ومنها يمكننا تمييز الخطابات السردية من الخطابات غير السردية[1] « . أي أنَّ علم السرديات هو فرع نقدي بكل ما تحمله كلمة تقد من دلالات وضلال، يهتم بالخطابات الأدبية ذات الطبيعة السردية، في مقابل الخطابات الأدبية الغير السردية التي هي على الأغلب من اختصاص فروع معرفية أخرى غير علم السرد.

نستنتج من خلال ما سبق أن السردية تمتد جذورها إلى الشعرية كونهما الإثنيان يعينان بعينات بمعرفة القوانين الخاصة بالأنواع الأدبية لنتمكن من تمييز الخطابات السردية عن الخطابات غير السردية.

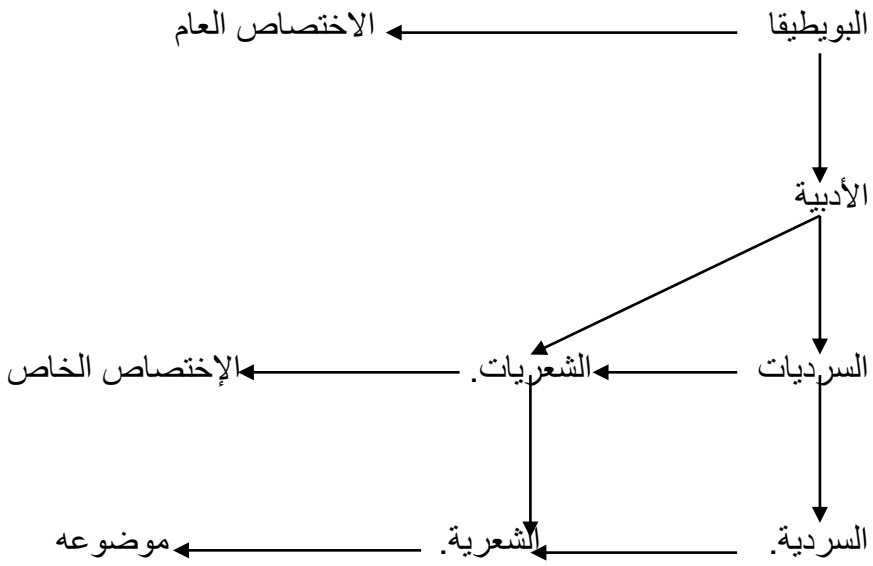
ويُعد مصطلح السرديات من أكثر المصطلحات إثارة من قِبل الباحثين والدارسين، فأول من ربط هذا المصطلح بالمجال السردي هو البلغاري تزفيتان تودوروف سنة 1969م، لتسمية علم جديد لم يوجد بعد، " فهي علم يتناول قوانين الأدب القصصي[2].

وتندرج السرديات باعتبارها اختصاصا جزئيا يهتم ب" سردية الخطاب السردي، ضمن علم كليّ هو البويطيقا، التي تُعنى بأدبية الخطاب الأدبي بوجه عام، وهي بذلك تعترف ب(الشعريات) التي تبحث في (شعرية الخطاب الشعري"[3] على الشكل التالي:

[1] يوسف وغليسي: الشعريات والسرديات (قراءة اصطلاحية في الحدود و المفاهيم)، منشورات مخبر السرد العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، د ،ط، 2007، ص29.

[2] سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العرض، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997، ص19.

[3] المرجع السابق، ص 23.



مخطط يبين موقع السرديات وموضوعه

ويتضح من خلال هذا المخطط أن سعيد يقطين يوسع في الثنائية المعروفة (شعرية، شعريات) لتصبوا (البويطيقا، الشعريات، الشعرية)، متجاوزا بذلك ما تعارف عليه النقاد الغربيون أنفسهم، فالأدبية التي كانت مجرد موضوع للشعرية، تصبح أعّم منها كما تصبح السردية التي كانت فرعا من الشعرية مساوية لها، وقد مُيِّزَ من خلال تصوره، هذا اتجاهين سرديين كبيرين[1]:

- الاتجاه الأول: وهي سرديات بنيوية تركز على الخطاب في حد ذاته.
- الاتجاه الثاني: يتم التركيز في هذا الاتجاه على المحتوى، ومن خلال هذين الاتجاهين يتم الانتقال من المستوى اللفظي للخطاب إلى المستوى الدلالي للنص ومن السرديات إلى السوسيو سرديات.

[1] المرجع نفسه، ص 24.

فعلم السرد /السرديات: " هو فرع فعّال للنظرية الأدبية، فالدراسة الأدبية تعتمد إلى نظريات بنية السرد، تستند إلى أفكار الحِبكة وضروب الرواة المختلفين وتقنيات السرد، كما أن شعرية السرد تسعى في نفس الوقت إلى فهم مكونات السرد وإلى تحليل الكيفية التي تحقق بها سرديات معينة تأثيراتها[1]". فهو فرع من فروع النظرية الأدبية التي تُعنى بالمقومات الأساسية التي يقوم عليها نَصٌّ ما تتحرك ضمن إطارها الخاص إطار السرديات.

المطلب الثاني: الوضعيات السردية في أدب الرحلة

تعتبر الرحلات أحد الأعمدة في صرح الحضارة العربية فقد نشأة وتعددت أشكالها وحفظت جانبا عظيما من الأدب والعلوم المختلفة كالجغرافيا والتاريخ وارتبط السفر والتِرحال بحياة الإنسان منذ أمد بعيد، وسافر الإنسان بحثا عن الطعام أو الشراب أو عن العلم والأدب وغيره من متطلبات الحياة، حتى أصبح السفر والتِرحال فنّا وأدبا.

ويُعدُّ أدب الرحلات من أبرز الفنون الأدبية النثرية وأمتعِها وأقرَبُها إلى القرّاء للالتصاق هذا الفن بواقع الناس وحياتهم وامتزاجهم بفنون أخرى كالقصص والمذكرات والتراث الشعبي واليوميات، وتولى كتابة هذا الفن رحّالة متنوعون في ثقافاتهم وعلومهم ممن اسْتَهْوَتْهُمْ روح المغامرة والسفر والترحال،

إنَّ ما يحكيه (السارد والرّحالة) من أحداث وقعت له أثناء الرحلة، قد عاشها مرتين[2]:

[1] جوناثان كالر، النظرية الأدبية، تر: رشاد عبد القادر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2006، ص 102.

[2] ينظر: محمد الحاتمي: الرحلات المغربية السوسية(بين المعرفي والأدبي)، مختبر البحث في التراث والإعلام والمصطلحات، الرباط، ط1، 2012، ص 304.

الأولى: مُعايشة فعلية، وهي لما كان ينتقل من مكان إلى آخر، وما يصادفه من أشخاص، وما يقع له من أحداث، وقد تذهب به من أقصى حالات اليأس والقُنوط إلى الإحساس بالأمن والاطمئنان.

والثانية: مُعايشة لغوية، أي عندما يُحَوِّل الرّحالة تجربَته وسفره من الفعل إلى اللغة، أي لما أصبح حاكيا وساردا لما جرى.

إذن ففي حالة استفادة الرّحالة من تجارب جديدة فإنه يضمّ إلى رصيده كمًّا من المعارف وبذلك يقف ساردًا لبثها إلى المتلقي، وكلما تحقّق أن يكون الرحالة ساردّا، فإنه يكون قد هضم الشيء المُبَأَّر ليكون في موضع يستطيع فيه أن يكون هو مرجع المعلومة ولا يتم للرّحالة ذلك إلا من خلال ما أكتسبه من قبل ، لما كان راصدا وسائلا عن المكان ومن فيه[1]، ومنه نقول: إنَّ الرّحالة يكون في موضع المسرود له قبل أن يتحول إلى وضعية السارد، فبمجرد رجوعه« إلى الوطن يُخلع عنه صفة المسرود له ليصبح في وضعية السارد»[2].

إذن ومن خلال ما تم قوله وجب علينا البحث والغوص أكثر في وضعيات الرّحالة (السارد والمسرود له)، فهو يمثّل همزة وصل بين المتلقي والمواضيع التي ينقلها من/ إلى فقبل أن يكون الرّحالة ساردًا فهو يتقمّص دور المسرود له لأن عملية الاستكشاف لا يتم إلا عبر جملة من العناصر التي توصله إلى الشيء المحدّد بالسرد حتى يتمثل ساردا.

[1] عيسى بخيتي: أدب الرحلة الجزائري الحديث، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2017، ص 484.

[2] عبد الرحيم مودن: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، دار السويدي أبو ظبي، ط1، 2006، ص 247.

أ- الرّحالة في وضعية السارد:

يدخل النقد في تناقض كبير حول ما يتعلق بوضعيات السارد في القصة واضطراب فيما يخضع له المصطلح، ومع ذلك فإنَّ معظم هذه الاصطلاحات تتدفق إلى مفاهيم متقاربة للغاية، وأصل هذا الاختلاف يعود إلى مجال زوايا المتخِّيل في دراسته، وعلى الرغم من وجود اختلاف في وجهات النظر في تحديد المصطلح إلا أننا نجد تصورهم واحد.

فمثلا لو توقفنا عند وجهات النظر كل من الناقد الفرنسي جون بو يون (j.pouillon) وتودوروف(T.toddoron) وتوماشفسكي (B. tomashevski) نجد أنَّ الأول يحدِّد السارد من ثلاثة زوايا لينقل بها السارد الأحداث ويحكي من خلالها عن الشخصيات وهو يستخدم واحدة من الرؤى الثلاث التالية:

1 الرؤية من الخلف : وهي التي يكون فيها السارد أعلى معرفة من الشخصيات، ويستخدم هذا النمط في " الحكي الكلاسيكي، غالبا هذه الطريقة ويكون الراوي عارفا أكثر مما تعرفه الشخصية الحكائية[1]، أي معرفة السارد لأبعاد العمل الحكائي وأحداثه أكثر من شخصية أخرى، ويُوصف بأنّه مهيْمن ويتجاوز كل التوقعات الشخصية، ففي هذه الرؤية نجد أن السارد يكون عارفا بحالات الشخصيات النفسية والشعورية والحسية، ويكون لديه توقعات مستقبلية لهذه الشخصيات.

2 الرؤيــة المصـاحبة (مــع) :هي التي يكون فيها السارد، أو يتساوى فيها السارد مع الشخصيات في المعرفة، فالراوي" لا يقدّم لنا أي معلومات أو تفسيرات إلا بعد أن تكون الشخصية نفسها قد توصّلت إليها، ويُستخدم في هذا الشكل ضمير المتكلّم أو ضمير الغائب

[1] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1991، ص47.

ولكن مع الاحتفاظ دائما بمظهر الرؤية مع"[1] .فهنا يكون السارد مصاحِبا للشخصية في السرد فلا يعرف عنها كل ما يرتبط بما هو داخلي بالأحاسيس، ولا يكون لديه توقعات في المستقبل ولا يتدخل في الشخصيات.

3 الرؤية من الخارج : وهي الرؤية التي يكون فيها السارد أقلّ معرفة من الشخصيات، فهي "رؤية تعتمد على الوصف الخارجي للشخصيات، فالرّاوي يصف الشخصيات من خلال حديثها وتصرّفاتها[2]، وقد شرح "رولان بورنوف" هذه الرؤى مفصِّلاً في وظيفة وخاصية كل رؤية قائلا:

" تتمثل الرؤية الأولى في القص التقليدي الكلاسيكي، وتقوم على مفهوم الراوي العالِم بكلّ شيء المحيطِ عِلمًا بالظاهر والباطن الذي يقدِّم مادته دون الإشارة إلى مصدر معلوماته، وفي تقدّم الرؤية يضع الراوي نفسه في تقدّم الشخصية، يرى تصرفاتها ويتأمّل حياتها النفسية بصورة موضوعية مباشرة، وفي الرؤية الثانية تقدّم الأحداث والشخصيات والمكان والزمان من خلال منظور شخصية بعينها من الشخصيات، ويتبنّى الراوي فيها منظور الشخصية ويرى معها، يلاحظ ما تلاحظه، فنرى العالم التخيّلي من خلالها معكوسا على شاشة وعْيِهَا، ولهذا المنظور سماته فهو يتنافى مع وصف الشخصية الخارجي، كما يتنافى مع وصف المكان مستقِلاً عن الشاهد أو مع التحليل النفسي التقديري المنفصل عن إدراك الشخصية، وفي الرؤية الثالثة لا يُقدّم الراوي فيها سوى ما يستطيع أن يخبره بحواسه، أي ما

[1] نفس المرجع، ص 47_48.

[2] سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي(الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2005، ص175 .

يمكنه أن يرى ويسمع، فلا سبيل إلى معرفة ما يجول بنفوس الشخصيات، فتُقدِّم هذه الرؤية على خبرة الراوي الحسِّية[1].

أما الثاني فيتوقف عليها بالترتيب المقابل:

1 - **الرؤيـة الخارجيـة:** سارد خارجي غير موجود في القصة ولا في الخطاب، فهو خارج المتن.

2 - **الرؤية الداخلية:** سارد داخلي، موجود في القصة وفي الخطاب، مشارك في الأحداث ويقع داخل المتن.

3 - **الرؤيـة الخارجيـة:** السارد خارجي موجود داخل القصة والخطاب بصفته مشاهدا للأحداث لا غير[2].

بينما يتوقف عليها الأخير بالترتيب:

1 - **السارد الذاتي:** يكون السارد مشارك في الفعل، تُقدّم الأحداث من زاوية نظر السارد الذي يُخبِر بها ويُؤّولها[3].

استعمل السارد ضمير الأنا في سرد رحلته وذلك «باستعماله ضمير المتكلم (مفرد جمع)، وهو يتكلّف بواسطة السرد بتقديم ما "وقع" له هو بالذات»[4]، وهذا ما نجده في قول الرّحالة:

---

[1] رولان بورنوف وريال أونيليه، عالم الرواية، تر: نهاد التكرلي، مر: فؤاد التكرلي ومحسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1991م، ص78.

[2] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1،1991، ص48_49.

[3] دليل تقنيات التواصل ومهارات التعبير والإنشاء، محمد أو لحاج، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2005، ص21.

[4] سعيد يقين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص187.

«وأنا قد وقع لي غيظ من أجل ظلم الحجاج بعضهم بعضا، فأقسمت بالله أني لا أبيت معهم فسرت مع الركب المصري راكبا على بغلتي مع بعض أصحابنا وهو الحاج يوسف إلى أن شرفنا على بدر بعد صلاة الصبح .... فلما نزل الركب المصري ذهبت أنا وصاحبي الحاج يوسف الشيباني إلى قرب القرية لنستظل بظل جدار المدشر... وبينما أنا كذلك وإذا بأخينا في الله سيدي محمد المحفوظي قد رآني عند السقائف التي تشرب فيها القهوة، فأخذ بيدي وذهب بي إلى شيالة المصري ودخلت خيمته ففرح بي فرحا شديدا فقام فجعل لنا الغداء وتكرّم علينا غاية وأخذت في القيلولة عندهم وكل ذلك أنا والحاج يوسف»[1].

كما استعمل ضمير الجمع في قوله: «فلما قرب طلوع الفجر ارتحلنا وسرنا إلى أن صلينا الصبح في جماعة فقطعنا المفاوز وبعد الضحى الأعلى دخلنا الشجر القريب من الجبل المشرف على وادي فاطمة يسمى جبل العميان الذي يجتمع فيه الفقراء لقاصد الإحسان»[2].

من خلال النماذج السابقة نجد أن الرّحالة هو المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية في آن واحد وهذا ما يتيح لنا جليًّا من خلال الضمير المستعمل في نقل أحداث ووقائع الرحلة، إذ نجد السارد وظّف ضمير المتكلم (سرت، ذهبت، وصلت، دخلت....) العائدُ على الكاتب والسارد والشخصية المحورية، أو الضمير العائد على جماعة المتكلمين (ارتحلنا، سرنا، صلينا، دخلنا....) الذي يعكس ذاتية المؤلف التي هي ذاتية السارد وذاتية الشخصية الرئيسية، ومن ثمةَ فالرؤية السردية الحاضرة في النص هي الرؤية المصاحبة، أما وضعية السارد فهو مشارك في الأحداث.

[1] الحسين بن محمد الورثيلاني: الرحلة الورثيلانية، مكتبة الثقافة الدينية، ج1، القاهرة، مصر، ط1، 2006م، ص440.

[2] نفس المصدر ،ص 449.

2 - السارد الموضوعي(objectif):

يكون غير مشارك لا يتدخل ليفسر الأحداث، وإنما ليصفه وصفا محايدا كما يراها " يسعى في علاقته بالمتلقي إلى تقديم" معرفة مبنية على " العيان" أو على السامع الذي تنتمي إليه، وهي بذلك معرفة موضوعية " فهو يحاول من خلاله أن يؤكد للمتلقي بواقعتيها معتمدا على ذلك ضمير الغائب كقوله مثلا: « إنّ الحجاج تسابقوا إلى ذلك الوادي فوجدوا فيه غديرا صغيرا لا يبقي دوابهم فازدحموا عليه وخوّضُوه إلى أن صار ملينا فلم يوّف أحد مقصوده منه وبعد ذلك بمرحلة تفضّل الله على الحجاج فوجدوا ماء مستبحرا في مواضع عديدة يكفي أركاب الدنيا كلها سقيا واستسقاء ورفعنا فأغناهم الله عن النظر التميمي»[1]، وظف السارد ضمير الغائب ليحدثنا عن شيء ما أو ليسرد لنا فائدة، وهذا دليل على ثقافة السارد الواسعة وإلمامه بجميع الجوانب .

الرحلة في وضعية مسرود له:

يمثل المسرود له حلقة أساسية للحلقة السردية فهو متلقي الرسالة أو النص السردي ، فلولاه لا تتم الحلقة، فجيرالد برنس يعرّف المسرود له على أنه:" الشخص الذي يسرد له المتموضع أو المنبطع... في السرد....."[2]، يؤكد هذا التعريف على ضرورة المسرود له داخل الخارطة السردية ما يبرهن أهميته ومكانته خاصة بقوله" المتموضع "أو "المنطبع" ما يشير إلى أنه حلقة أساسية، ويشير الكاتب نفسه إلى كون المسرود له قد يكون شخصية من الشخصيات ، ما يجعل دوره يتفاعل مع الآخرين، إذا يقول الكاتب نفسه في هذا الشأن:" والمسرود له مثل السارد يكمن أن يمثل واحد من الشخصيات، ويلعب دورا أقل أو أكثر أهمية في الواقع

[1] نفسه، ص 276.

[2] جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، مر وتق : محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة، مصر، ط 1، 2003م، ع 368، ص 142.

والمواقف المروية..."وهذا طبعا ما يؤكد التناغم والتعايش الواقع الحاصل بينه وبين بيئة النص ومحيطه

وعليه فإن وضعية الرحلة مسرود له ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: يقوم على الأسئلة المباشرة لسارد مباشر.

القسم الثاني: يقوم على الانجذاب والتأثر عبر التقاط المرئيات والمسموعات.

السارد المباشر:

يُعدّ السارد المباشر للرحالة في وضعية مسرود له من أهم قناة لاستقبال المعارف المختلفة عن المكان المزار و استخلاص شؤونه وتفاصيله، وثم عن طريق مباشرة يكون في المسرود له في معايشته مع السارد فيتم ربط القناة التواصلية باستعمال الأدوات والصيغ الدالة على الكلام المباشر (أخبرني بعض أهل تلك البلاد أو قال لنا أو قد حكى لنا).
فالسارد حين أعاد سردها على ألسنة أصحابها ،يتخذ هنا من وضعيته كمسرود له وسيطا بين السارد الحقيقي والمسرود الضمني، ومثال ذلك في قوله عن عرب بَرْقَة عندما مرّ بهم وقد ألحقت بهم المجاعة:" إذ سمعت منهم أن البعض منهم لم يذق الطعام نحو الشهر والشهرين وإنما يأكل النبات"[1].

تبيّن لنا من خلال هذا المثال أن الرحالة ليس هو السارد، وإنما هو المسرود حيث استعمل ضمير الغائب للإشارة على المسرود له، في حين يبقي المتلقي مرتبطا ذهنيا بالرابط الحقيقي الذي ابتدأ به الرحالة المسرود له الكلام على لسان السارد الحقيقي.

[1] الحسين بن محمدالورثيلاني، الرحلة الورثيلانية ،ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،مصر، ط1، 2006م، ص 277.

الإلتقاط المرئي والسمعي:

تعتمد الخطابات الرّحلية على المشاهدات بحيث يتمتع هؤلاء الرحالة من خلال هذه المشاهدات في محاولة ابتكار عالم يتعلق بسرد الصور. «فالمرئيات هي بمثابة الخطابات العلاماتية التي تستقبلها من عين الرحالة الماسحة للمكان، وهذه المرئيات هي عبارة عن خطابات تحولها العين إلى مستويات إشارية يكون لها الأثر في نفس أكبر مما تدل عليه العبارة»[1].

يُعد الخطاب المرئي من أهم الخطابات التي يتلقاها المسرود(الرحالة) في الرحلة الجزائرية التي يتميز بتنوع أشكاله وتباين صيغه، ولعل الورثيلاني في حديثة عن المرئيات وما استكشفه من خلال الإلتقاطات يدل على مصداقية ما يقول عن رحلته انطلاقا من قوله لمّا أخبر أنَّ أهل تونس: "أدّعوا أنهم شاهدوا رؤية الهلال: « ولما صلينا العصر وجلسنا في مناخنا هنيئة إذ أخبرني بعض أصحابنا أن أهل تونس زعموا أنهم رأوا الهلال ليلة الثلاثين والراوي له سبعة أحدهم من طلبة العلم وسألنا عنهم لنستخبر رؤيتهم فنكون على يقين من أمرهم..

ولما طرق أسماعنا ما ذكر من الخبر عن التونسيين اجتمع رأينا على الذهاب وقتئذ لعرفات فنستيقن الخبر فرحلنا وقتئذ وبلغنا نمرة وقد غاب الشفق وتبنا بإزائها فإذا بخبر الرأيين خبر سجاح، ثم اضمحل مدارج الرياح»[2]، وما نستنتجه أن الرؤية بالعين تكون أقوى وأبلغ من كل خبر وقول.

[1] عسي بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الجزائر، ط1، المؤسسة العربية للدراسات بيروت، 2017، ص 78.
[2] الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ج2، ط1، 2006، ص459.

يقوم السمع في الرحلة كآلية ضرورية لاستكمال ملامح الصور والمشاهدة، وتأتي الالتقاط السمعي بدرجة أقل على الالتقاط البصري، الالتقاط السمعي "هو عبارة عن صدى عام يأتي به تيّار الصدفة ليكتبه في أذن الرحالة باعتباره غريبا عن المكان»[1]، فمثلا عن قصة حمام سوسة لما مرّ بها في قوله:« وقد سمعت أن بعض الناس يحكي عن بعظهم أنّ الجنون التي أمرها سليمان عليه السلام بتسخين الماء فلم يستطيعوا خلافه غير أنهم لا يسمعون ولا يرون فظنوا بقاءه إلى الآن»[2] بمعنى أن الرحالة نجده دائما مهيأ للسماع، يطلق العنان لمسمعه وذلك باستخدامه الصيغة الصريحة " سمعت" الدالة على العفوية في التقاط الأخبار السمعية.

المطلب الثالث: وظائف السارد الرحلي

إن أهم وظيفة من وظائف السارد في جميع الأعمال الأدبية هي وظيفة السرد نفسها فالسارد هو الذي يعتلي عرش القصة والحكاية بغضّ النظر عن الصور اللغوية التي يمارسها كفعل لغوي يعبّر عن الأحداث، ولولا هذه الوظيفة لما وُجد العمل السردي من أساسه، فهو أهم أسباب وجود الحكاية[3].

ولكن هذه الوظيفة الحتمية ليست الوحيدة التي يتطلّبها العمل السردي من السارد فلا بد من وجود وظائف أخرى نذكر منها:

[1] عيسى بخيتي: أدب الرحلة الجزائري الحديث، سياق النص وخطاب الأنساق، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب الجزائري الحديث، الجزائر، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايدو تلمسان، 2015م2016/م، ص 381.

[2] الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية، مكتبة الثقافة الدنية، القاهرة ، مصر، ج2، ط1، 2006م، ص 759.

[3] محمد عبد الله، السرد العربي، أوراق مختارة من ملتقى السرد العربي، رابطة الكتاب الأردنيين، مطبعة السفير، ط1، 2011م، ص 334.

1 - **الوظيفة الاستشهادية:** وهي وظيفة لا تعد شرطا من شروط العملية السردية ولكنها لا تكاد تخلو منها، وتظهر هذه الوظيفة حيث يقوم السارد بمحاولة إثبات مصدره الذي استمد منه معلوماته أو درجة دقّة ذكرياته[1].

فكثيرا ما يورد إشارات تحيل على أنّ السارد قد اعتمد على بعض شهادات الرحالة في قوله: « قال الشيخ خليل في مناسكه ما ورد في الصحيحين عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه والرفث هو الجامع وقيل الفحش من القول والفسوق المعاصي»[2].

2 - **الوظيفة التنسيقية:** يتحرر الزمن من الخطين، فلا تتوالى الأحداث كما وقعت بل قد تقدّم وقد تؤخّر أو تتوقف[3].

فالحكاية في الرحلة «لا تقوم على عامل الشّد التخيلي الذي يكون فيه السارد عارفا بطقوس واستراتيجيات أحداث شخصياته، فإنّ الرحلة تقوم على التراكم المادي الذي يتكون عند الرحالة كمادة خام، يدق فيها موقف الانتقاء فعملية التوظيف والإقصاء داخل المتن يجب فيها وظيفة التنسيق التي تتأسس على مبدأ ترتيب العناصر المسرودة وفق رؤية السارد ولتصبح جملة الممكنات المحتملة قابلة لتكون مادة للحكي»[4].

---

[1] المرجع نفسه، ص 338.

[2] الحسين بن الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ج1، ط1، 2006، ص48.

[3] سمير المزروقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، ط1، ص 108.

[4] عيسي نجيتي: أدب الرحلة الجزائري الحديث، سياق النص وخطاب الأنساق ، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب الجزائري الحديث، الجزائر ،كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015م2016/م، ص 399.

3 – **الوظيفة السردية:** هي واحدة من الوظائف التي حدّدها جيرار جنيت وهي الوظيفة الأساسية والبديهية التي ينهض بها كل سارد على مستوى القمة، مهما اختلف موقعه في النص المسرود فمن خلالها يتمكن من «عرض الأحداث أو قصّها ويتوّلد عنها خطاب لغوي محكوم بصيغ زمنية معينة، أو كما قيل: عرض بواسطة اللغة المكتوبة»[1].

يحتل الخبر مكانة هامة في التراث العربي، لكونه أقدم الأشكال السردية العربية فقد عَرف العرب هذا الفن قبل الإسلام وكان يُنقل مشافهة، الأمر الذي أدى إلى شيوعه وتدوينه وقد كثرت الأخبار وتنوعت في أثار عدة متنوعة الأغراض ومتشبّعة المواضيع، منها ما ارتُبطت باللغة ،ومنها ما هو داخل في التاريخ ومنها ما له علاقة بالدين (حديثا وسيرة) وهذا إنْ دلَّ على شيء إنما يدّلُ على اهتمام العرب بالأخبار مثلها مثل أي نوع أخر من أنواع النثر، وقبل الشروع في هذا الجنس لا بد من الوقوف عند مفهومه اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الثاني: ماهية الخبر الرحلي

المطلب الأول: تعريف الخبر:

أ–لغة: وردت لفظة خبر في المعاجم العربية بمعانٍ عدة حيث جاء في لسان العرب:« خبر، الخبير من أسماء الله عز وجل العالم بما كان وما يكون، وخبرت بالأمر أي علمنه، وخبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته والخبر ما أتاك من نبأ عمن نستخبر ابن سيده: الخبر النبأ والجمع أخبار»[2].

- **وورد في المعجم نفسه قوله:**« خبر والخبير الذي يخبر الشيء بعمله والخبر المزادة العظيمة والجمع خُبور، والخبراء : قاع مستدير يجمع فيه الماء»[3].

---

[1] إسماعيل زردومي: فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، مخطوط رسالة دكتوراه، الجزائر، جامعة باتنة 2005م، ص 439.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة خ، ب، ر، دار صادر ، بيروت، الجلد الخامس، ص 10.

[3] المرجع السابق، ص 10

- **أما في قاموس المحيط:** «فالخبر هو محركة النبأ، ج: أخبار، وأخبره خَبورة: أنبأه ما عنده والمَخْبَرة والمَخْبُرة: العلم بالشيء»[1].

- **نستنتج مما سبق أن لفظة الخبر لا تختلف عن لفظة النبأ، والنبأ هو الخبر الذي له شأن عظيم، ومنه اشتقاق النبُؤة لأن النبي مخبر عن الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى:** " تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ"[2]، وقوله تعالى:" عمّ يَتَسَاءَلُونَ عَنْ النَبَإِ العَظِيمِ"[3]. فوصفَه بالعَظَمَة، نبأ الشخص بالخبر أبلغه وأعلمه إياه، والخبر هو العلم بالشيء ونقله مشافهة أو كتابة.

ب-**اصطلاحا:** هناك تعاريف متعددة لكلمة الخبر:

عرّف (عبد لله أبوهيف) الخبر بأنه « فن قصصي يغلب عليه قول الحقيقة ويشير إلى سرد شيء من التاريخ»[4] وبهذا فقد صُنِّفَ عبد الله أبو هيف الخبر ضمن الفنون القصصية التي تنقل حقائق وأحداث قريبة من الحقيقة وبما أن الخبر فن قصصي فهو يُصَنَّفْ ضمن دائرة السرد.

- وتُعدُّ مقاربة محمد القاضي في كتابه (الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية، من أوائل المقاربات المستفيضة للخبر حاول فيها تقديم مفهوم له وهو: أن الخبر شكل أساسي من أشكال القص العربي القديم[5].

- والمقصود من هذا أن القَّصْ العربي القديم له أساليب مختلفة ينتهجها للوصول إلى غاياته وأهدافه وفي خصم هذه الأساليب اعتمد أشكال متنوعة منها الخبر الذي يُعَدُّ شكلا أساسيا لا يستغني عنه الخاص لأنه يسمح ببلوغ جلَّ الأهداف.

---

[1] الفيروز أبادي، المحيط، دار الرسالة ، لبنان، ط8 ،2005م، ص 434.

[2] سورة القصص ،الآية3.

[3] سورة النبأ، الآية 2.

[4] مصطلحات تراثية للقصة العربية، مجلة التراث العربي، العدد 48، ص112.

[5] محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي، ص 102.

- وكان يُطلق هذا المصطلح على الأحاديث المروية عن الرّسول صلى الله عليه وسلم، لكون (الحديث والخبر) يشتركان في قيام كل منهما على ثنائية الإسناد والمتن وهي ثنائية تكشف عن الأصول الشفوية للخبر، وبالرّغم من تطور الخبر وتُوَّسِع العناية به إلا أنه ظل شكلا سرديا مجهول المؤلف.

- من خلال هذه الدراسات نتوصل إلى نتيجة مفادها أن مفهوم الخبر الاصطلاحي قائم على كونه شكلا من أشكال السرد العربي القديم، ظهر مختلطا بالأجناس الأدبية والدينية الأخرى ثم تطوّر واستقل ليكون جنسا أدبيا قائما بذاته ،ويركّز على الحدث أكثر من العناصر السردية الأخرى، وتسرد بعض الأخبار بقصد توصيل المعرفة للمتلقي والإخبار بالأحداث الماضية كالأخبار الدينية والتاريخية والسياسية والاجتماعية، فإعادة روايتها بطريقة أدبية تخفف من رتابتها العلمية ،وتجعلها أكثر تأثيرا في المتلقي.

المطلب الثاني: أنواع الخبر:

للخبر أنواع عديدة، وذلك حسب ما يمثِّله الكلام في علاقته بالتجربة الإنسانية، لأنّ التجربة الإنسانية تتمثّل في العلاقات التي يبنيها الإنسان مع العوالم المحيطة به من محسوس ومعقول، وكائن وممكن، فهو يتفاعل معها بمختلف حواسه الظاهرة والباطنة مستعملا وسائط الإدراك المتاحة أمامه أو يمتلكها جميعا، لذلك فإنَّ الكلام المنتج يأتي مثالا لهذه الصورة أو تلك الاستجابة للتجربة، ونستطيع تحديد أنواع الخبر بحسب علاقته بالتجربة على هذا النحو:

«**الخبر= التجربة:** عند ما يكون الخبر يوازي التجربة تكون بصدد الأليف اليومي والواقعي الذي يتساوى كل الناس في إدراكه وتمثّله[1] .

[1] سعيد يقطين، الكلام والخبر (مقدمة السرد العربي)، المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، ط1، 1997، ص 190.

الخبر>التجربة: وعندما يصبح ما يقدّمه لنا الخبر يفوق أو يُوازي التجربة نصبح أمام عوالم جديدة تتميّز بغرابتها عمّا هو أليف وتنزاح عمَّا هو مُتداول ويومي.

الخبر< التجربة: عند ما يتجاوز الخبر التجربة ويفوقها، يتم خلق عوالم جديدة تقوم على (التخييل) وذلك من خلال اخترع أشياء لا حقيقة لها فخروجها عن عوالم التجربة الواقعية العادية»[1].

نرى أن كُتب الأخبار التي تدبّرنا فيها الخبر بأنه نص سردي متباين الأنماط والتي ظلّت تتأرجح في المدوّنة العربية القديمة بين « النمط الواقعي والنمط التخيلي على اعتبار أن التخيل السردي يفضِّل دوما ولأسباب متعددة أن يختفي وراء عباءة الإثبات فمنح الخبر المصداقية، وتعطي للراوي شرعية تكسبه سلطة تفوق سلطة الحاكم[2].

فراوي الخبر يرمي دائما إلى امتاع قرائه، لهذا السبب فإنه يبني عوالمه على تنظيم منطقي مندرج وأيّنْ كان نوع الخبر، فإنه يبقى يوّجه عام ظاهرة متحدّدة الأبعاد في مجالات الأخلاق والسياسة والفكر.

كما يمكن ذكر أنواع أخرى للخبر، ولكن هذه المدة ليس حسب علاقتها بالتجربة وإنّما بحسب المرجعيات الذي يستسقي منها الكتّاب أخبارهم أو بحسب نوعية الموضوع المعالج وهي على النحو التالي:

1 - **الأخبار الدينية:** (أخبار الأنبياء، وأخبار الصالحين، وأخبار الأمم السالفة).

[1] المرجع نفسه، ص 199،ص200.

[2] سعاد مسكين ، خزانة شهر زاد، الأنواع السردية في ألف ليلة وليلة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012م، ص 136.

2 – **الأخبار التاريخية:** (الأخبار السيرية " السيرة الذاتية"، وأخبار الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والأدبية التي عاشتها الأمم السالفة غير المذكورة في القرآن والسنة، وأخبار الملوك والأمراء أو أصحاب السلطة).

3 – **الأخبار الواقعية:** (أخبار العشاق والجواري والغلمان ومجالس اللهو واللعب، وأخبار الفكاهة، والأخبار الواردة عن حياة الناس عامة (أي الناس العاديين مثل: الزواج، الطلاق، الخيانة، السجن، الفقر، الغنى، والزهد.... الخ)

4 – **الأخبار التراثية:**(أخبار الأدباء، وأخبار على لسان الحيوانات، الأساطير، الأخبار الخيالية أو الخرافية عن العوالم الغريبة مثل: أخبار الجن والأشباح والغول، والعنقاء مثل: ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة، وغيرهما)[1].

حتى وإنْ اختلفت هذه الأخبار في موضوعاتها تتقارب في بَنِينِهَا الفيئة وطرائق تقديمها، وهذا التقسيم أكثر انسجاما وقُربًا للأخبار الواردة في الرحلة الورثيلانية، والتي نحن بصدد دراستها إذ فيها الأنواع المذكورة جميعا من دون المساس بالنواحي الجمالية والفنية.

المطلب الثالث: علاقة السرد بالخبر:

يعتبر الخبر نوعا من أنواع السرد حيث يمكن توظيف مفهوم السرد للدلالة على مختلف الأنواع الخبرية وذلك لكون مفهوم هذا الأخير السرد أوسع وأشمل من الخبر فقد اعتبر(سعيد يقطن) الخبر نوع أولي « فالسرد في أبسط تعريفاته الحديث أو إخبار ك(منتج وعلمية وهدف وفعل وبنية وعلمية بنائية الواحد أو أكثر من واقع حقيقته أو خيالية من قبل واحد أو اثنين أو أكثر من الساردين وذلك لواحد أو اثنين أو أكثر من المسرود لهم»[2]، فالعلاقة

[1] عارف تيشكو، الخبر في آثار ابن الجوزي، ص 12.

[2] عثمان عارف تيشكو، الخبر في آثار ابن الجوزي، نقلا عن جيرالد برنس، ترن عابد خزندار، مراجعة وتقديم محمد البربري، المشروع القومي للترجمة، العدد، 368، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة مصر، ط1، 2003، 145.

بينهما هي علاقة عامة في الغالب لأن الخبر متّصل بمعظم أنواع الحكي، فهو يدل على الحدث أو ما وراءه ،مما قد يوحي به الخبر نفسه و« نستسيق من هذا التعريف أن مجرد، تصوير سارد يخبر الأحداث والواقع لمسرود له يؤكد حقيقة أن الخبر ليس نتاجا فحسب بل عملية نقل وتوصيل [1]، ولعلّ هذه أهم ميزة يشترك فيها الخبر مع السرد فكلاهما يقيّد نقل الحديث وإخبار الآخرين به واستظهاره وتبينه وتوضيحه وما إلى ذلك ويخرج نسبة من احتكار شخص واحد أو وجهة ما، لمل يجعل الآخرين شركاء فيه» [2]، أما الميزة الثانية المشتركة فتمثل في المكونات، فمكونات السرد هي المكونات نفسها التي تكون الأخبار فنجد في السرد: السارد أو الراوي والعمل المسرود والمسرود له (المروي له) كما هي في النصوص السردية المعروفة نفس المكونات نجدها في الخبر وهي: المخبر، والخبر، المخبر، وبما أننا بصدد الحديث عن سردية النص الخبري لابد من الوقوف عند مفهوم السردية التي تعددت تعريفاتها فحسب اختلاف زاوية النظر إليها بطرق عدة كالآتي فهو علم يتناول قوانين الأدب القصصي[3]، أو هو علم يقوم بدراسة طبيعة وشكل ووظيفة السرد بصرف النظر عن الوسيط أو الميديا المعروضة، كما يحاول أن يحدد القدرة السردية، وبصفة خاصة فإنه يقوم بتحديد السيمة المشتركة بين كل أشكال السرد(على مستوى القصة والتسريد والعلاقة بينهما)، وكذلك ما يجعلهم مختلفين عن بعضهم البعض، ويشرح السبب في القدرة على إنتاجهم وفهمهم»[4]، وتعنى السردية باستنباط القواعد الداخلية للأجناس

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها، نقلا عن المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[2] المرجع نفسه، ص 14، نقلا عن إبراهيم صحراوي، السرد العربي (الأنواع والوظائف والبُنيات) ص 34.

[3] معجم السرديات، 249.

[4] المصطلح السردي، ص 157، وينظر معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د، سعيد علوش، ص111.

الأدبية، واستخراج النظم التي تحكمها وتوجه أبيتها، وتحد خصائص وسماتها، ووصفت بأنها نظام نظري ، غذى وخصب بالبحث التجريبي»[1].

تظهر لنا بوادر العلاقة بين الخبر والدراسة السردية لأن الخبر بوصفه نوعا سرديا بحاجة كأي نص سردي آخر إلى دراسة مكوناته السردية وتحليلها وتأويلها، لفهم مكامنه وخباياه وبيان خصائصه التي تميزه عن بقية الأنواع من جهة، وأيضا لفهم أصول التي تقربه عن بقية الأنواع السردية من جهة أخرى.

[1]موسوعة السرد العربي ،ص 7، وينظر دليل الناقد الأدبي، دميجان الرويلي و د، سعيد البازعي، ص 103.

الفصل الثاني: أبعاد الخبر في الرحلة الورثلانية عند الحسين بن محمد الورثلاني

المبحث الأول: الخبر الديني

المطلب الأول: ذكر الأولياء الصالحين ووصف الأضرحة:

يُلفت الانتباه في هذه الرحلة كثرة ذكر الأولياء والشيوخ والعلماء والفقهاء، والتعريف بهم وبالمكان الذي يقيمون فيه وما أُخذ عنهم من علم ونصائح.

الأولياء الصالحين هم أهل الصلاح وإيمان بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام وما أنزل عليه، وحفظ القرآن والعمل به وميّزهم الله عن سائر البشر فيهم أصحاب العلم والفقه جاء في سورة الأنفال: (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُون)[1]، وكان هؤلاء الأولياء الصالحون يَحْضَوْنَ بمنزلة عالية في المجتمع الذي ينتمون إليه، وبعد وفاتهم تصبح قبورهم أماكن دينية يقصدها الناس من جميع أنحاء المدينة وحتى من جاء ماراً على بلدة فعليه زيارة الأولياء الصالحين أو أضرحتهم لنيل البركة والسلامة في الطريق والوصول إلى أهلهم سالمين، وقد أشار إليهم الرحالة مرات عديدة وتبرّكَ بهم ومما يدل على ذلك أنه كلما ذكرت أسماءهم، يَعْقِبُ المؤلف عليهم بعبارات خاصة من ذلك قوله "نفعنا الله به آمين" أفاض علينا من بركاتهم يمنه وكرمه أمين "نفعنا الله به وبأمثاله ....." رزقنا الله بركته آمين" .... إلخ، يقول الورثيلاني متحدّثا عن أحد هؤلاء الأولياء وهو سيدي أحمد بن مزيان[2]، "ثم نزلنا قرية الشيخ الفاضل ذي التصانيف الجيدة الوليّ الكبير والعالم الشهير صاحب وقته المحب للنبي صلى الله عليه وسلم وخليله سيدي أحمد بن مزيان وهي ورجة قرية عظيمة طيبة فيها بساتين وعين جارية وسط داره وله خلوة معلومة له اليد العليا في العلوم كلها المنقول والمعقول وقد حضى البردة".[3]

ومن الأولياء الذين ذكرهم نجد سيدي ناصر الخلقي، يذكر الكاتب أنه كان فقيها مفتيا حافظا للأنفال وهو من قرّننا هذا ومن الحادي عشر معاصر لجيد والد ولدي وأولاده على الفضل

---

[1]– سورة الأنفال، الآية 34.

[2]– أبو عبد البر محمد بن عبد القادر بن رمضان مزيان، وأطلق عليه الورجي نسبة لقرية ورجة.

[3]– الرحلة، ص29.

والحلم[1]، وهناك أيضا سيدي أحمد بن سعيد وهو "وليّ معظم عند بني وفيف ضريحه مشهور بزار وأولاده أفاضل على الخير والطاعة"[2]، ثم يحدثنا عن زيارة قبر الشيخ إبراهيم اللقاني[3]، الذي دفن "في مقبرة هنالك محوط عليه بالأحجار على يسار الذاهب إلى منزل الركب"[4]، وبعد ذلك يحدّثنا الورثيلاني عن زيارة للشيخ عبد السلام الأسمر[5] قال "زرنا القطب الصالح والغوث الواضح للشيخ عبد السلام الأسمر فإنه مجاب الدعوة وقبره روضة وحريمه لا يتعدى عليه أحد فض وصل إليه سلم ونجا أفاض الله علينا من نفحاته وقد رغبنا عنده فدعونا الله لنا ولأقاربنا والمسلمين والمسّلمات".[6] ثم يذكر بركة هذا الشيخ وكيف أن من زار ضريحه يستجاب له الدعاء ولا يصيبه أذى ولا يتعدى عليه وعلى حريمه أحد.

المطلب الثاني: المساجد التي ذكرت في الرحلة الورثيلانية:

من المساجد التي ذكرها الرّحالة نذكر منها:

1/ مسجد الزّاب ببسكرة:

يقول صاحب الرحلة: "زرنا مسجدا وطلعنا إلى مُأَذَنَتِهِ وهي في غاية الإتقان والطول والسعة تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها وإدراجها مائة وأربع وعشرون درجة والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء[7]، عرف أهل الزّاب بالجودة والفضل وأحسن الله إليهم، هذا ما جعلهم يبنون مساجد للعبادة والتقرب من الله عز وجل وحفظ القرآن وتعليم أحكامه وإعطاء دروس

[1]– الرحلة، ص95.

[2]– الرحلة، ص95.

[3]– الشيخ برهان الدين إبراهيم أبو مداد اللقّاني، أحد الأعلام المشار إليهم بسعة الاطلاع في علم الحديث والدراية، وكان إليه المرجع في المشكلات والفتاوى في وقته بالقاهرة.

[4]– الرحلة، ص399.

[5]– عبد السلام الأسمر بن سليم الفيتوري الإدريسي الحسني، يعدُّ من أهم العلماء ودعاة الإسلام في القرن العاشر الهجري فهو من فقهاء المالكية وعالم في عقيدة أهل السنة والجماعة.

[6]– الرحلة، ص716.

[7]– الرحلة، ص117.

في الفقه، زار الرّحالة أحد هذه المساجد المتواجدة بطولقة ببسكرة، وهو غاية في الإتقان "إلا أنه قلّ عامروه وضعف ساكنوه"[1] ويعود هذا إلى الأتراك الذين سيطروا على المواقع الأساسية التي يسترزق ويعيش منها أهل المدينة من مياه وأودية ونخيل ومزارع، مما جعل الناس يهجرون المناطق ويبقى المسجد خاويا على عروشه.

2/ مسجد السلطان حسن بمصر:

وهو مسجد مميّز وفريد لا مثيل له في البلاد، ذو فخامة وإتقان في البناء، وذو ارتفاع وحسن في أحكامه واتساع مناياه وبه أعمدة رُخامية شاهقة وأبواب كبيرة تشبه الجبال في كبر حجمها وفي أحد هذه الأبواب سارية رُخامية ذات نقوش وزخارف عجيبة ويبدوا أن هذا المسجد كان من أجمل وأفخم المساجد في المنطقة على عادة أهل المشرق الذين عُرفوا بالفخامة في البناء.[2]

3/ مسجد العشيرة بالمدينة:

يَصفُ الرّحالة دخوله مسجد العشيرة وهو من أحد المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "دخلنا هذا المسجد وقِلْنَا فيه حتى صلينا الظهر والعصر وتوضأنا من هذه العين وعليها نخيل وفيها الينبُعِ ملتفة ناعمة ووجدنا بها العام يبس ماء العين وانهدم بعض سقف المسجد وذبلت النخل وفي الينبُعِ مزارة على تلٍّ مرتفع".[3]

[1]- الرحلة، ص117.

[2]- ينظر: الرحلة، ص318.

[3]- الرحلة، ص412.

4/ المسجد الأعظم ببلاد الطائف:

أطلق عليه اسم المسجد الأعظم لمكانته حيث كان محلّ نزول عسكر النبي صلى الله عليه وسلم عند محاصرة ثقيف بعد غزوة حنين، وفي وسط المسجد يوجد مسجد صغير جاء في السيرة أنه منزل النبي عليه الصلاة والسلام، وفيه محل يقال محل قُبَّةَ أم المؤمنين أم سلمة.[1]

5/ مسجد قباء بالمدينة:

بُنِيَّ بالمدينة المنورة وله مكانة عظيمة عند المسلمين، وأُطلق عليه مسجد قباء نسبة إلى قباء أم المؤمنين، ويصفُ الرّحالة دخوله لهذا المسجد يقول: "دخلنا الحديقة التي فيها بئر أريس وشربنا من مائها وتوضأنا منه ومنها مسجد الجمعة وهو في طريق قبا نحو ميل أو أقلّ من مسجد قبا على يمين الذاهب من المدينة على الطريق التي تمر بين النخل"[2] فهو من أحد المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وكانت: "أول جمعة صلاها عليه الصلاة والسلام بالمدينة"[3] فهو من المساجد التي فضّلها الصحابة عن باقي المساجد، عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "لو كان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل"[4] وقال أيضا: "مسجد بن أبي وقاص رضي الله عنه لأن أصلي في مسجد قبا ركعتين أحب إلى من أن آتي إلى بيت المقدس مرتين".[5]

---

[1]- ينظر: الرحلة، ص515.

[2]- الرحلة، ص543.

[3]- الرحلة، ص543.

[4]- الرحلة، ص543.

[5]- الرحلة، ص543.

المطلب الثالث: العلوم الدينية

الدين هو تنزيل الله يقود صاحبه للتفكير بمنطقية في اتخاذ ما يقدّم عليه سواء عبادة وقرارات يومية أو حتى الحكم في أشياء مصيرية، فمن غير المعقول أن يكون فيه مخالطات أو أضرار للإنسان بل صلاح ومنفعة ورشد، فيمنح الناس راحة الرضا، كل هذا ينطوي تحت قدسية الدين.

ومما لاشك فيه أن فكر الإنسان يتطور مع تطور متطلبات عصره، فهمه الوحيد كان الإجابة على سؤال الوجودية، وعلاقته مع نفسه وغيره ولابد له من نظام يستر حياته ذلك ما حتم عليه اللجوء إلى شعائر وطقوس عبر من خلالها عن نفسه واعتبرها تفسيرات منحته السلام الداخلي، أما بمجيء الإسلام فتغيرت كل هذه المفاهيم وظهرت مفاهيم ومصطلحات من أبرزها: الجنة، النار، الحساب، الملائكة، الآخرة ...، وكان المرجع والمرشد هو القرآن الكريم ولا يزال ليومنا هذا، فوضح المفاهيم الغيبية وفسرها تفسيرا علميا منطقيا بما فيها الدين الذي هو "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختياراتهم إياه إلى الإصلاح في الحال والمال".[1]

أما الفيلسوف الغربي إيميل دوركايم فيقول: "هو نسق متكامل وموحد يضم مجموعة العقائد والممارسات المتصلة بالأشياء المقدسة، لتلك العقائد والممارسات وتمارس في مجتمع صغير يسمى الكنيسة".[2]

يرى ايميل دوركايم أن الدين يوحد الناس عن طريقة خصائصه العقيدية المتمثلة في الطقوس ومدى قداستها، ثم اقتصر على حيز مكاني وهو الكنيسة باعتبارها غربي لا يدين

[1]– بدر الدين التهاوني، اللوامع، تح: عبد السلام هارون، دار العلم للملايين، سوريا، ط3، إ د، ت، ص541.

[2]– إيميل دوركايم، أصل التفكير، تر: خالد البحري، دار ابن رشيق للنشر، تونس، د ط، 2005، ص169.

بديننا الحنيف، فهذا الأخير أراد أن يعرف الدين وفق ما رآه في مجتمعه الغربي على أن المكان هو استدعاء لثقافة متجذرة، فالإنسان يولد صفحة بيضاء والآخر والمجتمع يقوم بالنقش عليها من خلال التدخل في سلوكه وديانته، فلا شعوريا يتبع ما اتبعوه من دين وثقافة وعلوم.

فالدين هو نسق جماعي، يجمع بين الأفراد، وقد جاءت الرحلة الورثيلانية على أنساق دينية متعددة نذكر منها:

أ/ القرآن الكريم:

شرعًا هو كلام الله المُعجزْ المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام وهو المنقول بالتواتر، المكتوب في المصحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس.

وقد وظّفه الورثيلاني في رحلته لقيمته الكبيرة وللإتّعاض به والسير على منواله في كثير من المواقف التي صادفته أثناء رحلته.

سورة محمد:

وظف الشيخ الورثيلاني سورة محمد في حديثه عن الشيخين "ابن بلس" والشيخ أحمد بن صخري أثناء أداء الحج، فقال: " فَمِنكُم مَن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُواْ أَمْثَلَكُم ".[1]

تحدث هنا عن ظاهرة البخل التي انتابنهما، وكيف ترجع هذه الصفة الذميمة على أصحابها رغم تواجدهم في الحج الذي يمثل موطن الجود والعطاء والكرم والخيرات لكن

[1]– سورة محمد، الآية 38.

البخل طغى عليهما، كما قال الراغب الأضفهاني: (البخل: إمساك المفتنيات عما لا يحق حبسها عنه'.

وقال ابن حجر: (البخل هو منع ما يطلب مما يقتنى، وشره ما كان طالبه مستحقا، ولا سيّما إنْ كان من خير مال المسؤول.

لذا وظّف الشيخ الورثيلاني استشهادا من القرآن الكريم لكي يخبرنا بنتائج هذه الصفة وعواقبها.

كما استشهد بها مرة أخرى في حديثه عن علامات الساعة الكبرى والصغرى، حيث فصّل فيها وذكر الآية كدليل قاطع على هذه العلامات، وغفلة الناس وتناسيهم أن الموت آتي دون ميعاد في قوله: " فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ".[1]

يقصد بتفسير الآية: ما ينتظر هؤلاء المكذبون إلا الساعة التي وعدوا بها أن تجيئهم فجأة، فقد ظهرت علاماتها ولم ينفعوا بذلك، فمن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة؟

سورة البقرة:

قال تعالى: " ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ".2

يقصد بتفسير الآية "قست قلوبكم من بعد هذه المواعظ البليغة والمعجزات الخارقة الباهرة حتى قست وغلظت مثل الحجارة بل أشد صلابة منها فلم ينفذ إليها خير فهي لا تتحول عن حالها أبدا، وأما الحجارة فتتغير وتتحول.

[1]– سورة محمد، الآية 18.

[2]– سورة البقرة، الآية 74.

وتصِف من خلال ذلك الغمام الذي كان يغطي أعين هؤلاء النسوة، فكلما دعاهم إلى التوبة وطريق الله، كانوا لا يصغون شيئا.

فاستشهد بآية من سورة البقرة من خلال تعجبهم من أحوال الشيوخ ومواطنهم فعلى الرغم من تمسكهم بالدين وتعبدهم الذي انعكس حتى في لباسهم، إلا أن النساء يفسقن وهن في جو من اللهو والمجون فلباسهن غير محتشم وصفاتهم ذميمة عددها في السُكْرِ واللهو والمجون، فاتّخذَ بدوره المرشد الواعظ، لكن لم يجد ذلك نفعا.

سورة الفاتحة:

قال تعالى: "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ".[1]

استشهد الورثيلاني بسورة الفاتحة بالحديث عن الطريق الذي أنعمت عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين، فهم أهل الهداية والاستقامة ولا تجعلنا ممن سلك طريق المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به وهم اليهود، ومن كان على شاكلتهم، والضالين وهم الذين لم يهتدوا، فضلوا الطريق وهم النصارى ومن اتَّبَعَ سُنّتهم، وفي هذا الدعاء شفاء لقلب المسلم من مرض الجحود والجهل والضلال، ودلالة على أن أعظم نعمة على الإطلاق هي نعمة الإسلام، فمن كان أخرص للحق وأتبع له، كان أولى بالصراط المستقيم، ولا ريب أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أولى الناس بذلك بعد الأنبياء عليهم السلام، فدلت الآية على فضلهم، وعظيم منزلتهم، رضي الله عنهم، ويستجيب للقارئ أن يقول في الصلاة يعد قراءة الفاتحة (أمين)، ومعناها: اللهم استجب، وليست آية من سورة الفاتحة بإتقان العلماء، ولهذا أجمعوا على عدم كتابتها في المصاحف.

[1]– سورة الفاتحة، الآية 07.

سورة الزمر:

قال تعالى: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ".[1]

وظّف الورثيلاني سورة الزمر بصدد الحديث عن قيام الساعة والمسيح الدجال، فيريد أن يشرح ويفصّل في حديثه عن هول هذه اللحظة التي تسمى نفخة الصعق فلما خوّفهم الله تعالى من عظمته، خوّفهم بأحوال يوم القيامة، ورغبتهم ورهبهم فقال: (ونفخ في الصور) وهو قرن عظيم لا يعلم عظمته إلا خالقه ومن أطلعه الله على علمه من خلفه فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام فمات كلهم من في السموات والأرض، ويبقى ﷻ دائما أبدا، وقد ذكر الورثيلاني هذه الآية رغبة منه في تذكيرهم بحقيقة حتمية بأن الموت والساعة لابد منها فلا يبقى غير الله الأحد.

سورة الحج:

قال تعالى: "الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ".[2]

وذلك في حديثه عن الهداية واتّباع طريق الصلاح، الذي طلبها وتمناها لغيره ولنفسه، فقد كان يتعجّب من أحوال هؤلاء الزنادقة الذين ينافقون ويبدوا صفاتهم الذميمة، عن طريق الوصول إلى ما أرادوه بالنفاق والوعود الكاذبة فحمل على عاتقه دور المرشد وطلب الغفران والهداية.

---

[1]– سورة الزمر، 68.

[2]– سورة الحج، الآية 40.

سورة المائدة:

قال تعالى: " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ ".[1]

أراد الورثيلاني أن يُورد لنا مدى كفر اليهود كرههم للمسلمين، ومدى تمسك هؤلاء اليهود بدينهم فلا يرجعون فيه أبدا ويعتبرونه مقدسا يتحكم عليهم اتباعه والمحاربة من أجل نشره فلا يرحمهم الله أبدا ويحلّ غضبه تعالى عليهم وهنا أراد أن يشبّه الورثيلاني الذين كفروا بآيات الله ودينه.

سورة القلم:

في قوله تعالى: " يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ(42) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ".[2]

وظّف الورثيلاني هذه الآية عندما تحدّث عن يوم البعث أي يوم القيامة يأتون مُنكسرين أبصارهم لا يرفعونها تغشاهم ندامة وذلّة شديدة من عذاب الله وقد كانوا في الدنيا يدعون إلى الصلاة لله وعبادته ويظله منهم أن يسجدوا لله وهم في معافاة أصحاء نادرون عليها فلا يسجدون تعظما واستكبارا.

نستنتج مما سبق أن الورثيلاني قد استدلَّ بآيات من القرآن الكريم في رحلته كان يستشهد بها وبيان دلالتها أي قدم الحجج والشواهد من النصوص القرآنية لتقوية الدليل والبرهان، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن الورثيلاني له زادٌ معرفي حافظ لكتاب الله ومتمكِّن من أحكامه فكان متمسِّكا بدينه وعلمه.

[1]– سورة امائدة، 82.

[2]– سورة القلم، 42– 43.

ب/ الحديث:

هو كل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول وفعل وتقرير في أحد الأمور والأحكام أي أن الحديث هو استحداث أمر من الأمور وإعادة النظر فيه، والرحلة مليئة بنماذج من الأحاديث نذكر منها ما يلي:

لقد قسّمنا الحديث إلى قسمين صحيح البخاري وصحيح مسلم.

أ/ صحيح مسلم:

هو أحد أهم كتب الحديث النبوي عند المسلمين من أهل السنة والجماعة، ويعتبرونه ثالث الكتب صحة على الإطلاق بعد القرآن الكريم ثم الصحيح البخاري، ويعتبر صحيح مسلم أحد كتب الجوامع وهي ما يحتوي على جميع أبواب الحديث من عقائد وأحكام وآداب وتفسير وتاريخ ومناقب وغيرها.

عن عامر بن سعيد عن أبيه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية حتى مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنين".[1]

في هذا تحدث الورثيلاني عن مرور الرسول صلى الله عليه وسلم بمسجد بني معاوية ودخوله لهذا المسجد وأدّى الصلاة فيه ودعا ربه مطيلاً في دعائه بثلاث أدعية إلا أن الله استجاب له باثنين فقط.

[1]– الرحلة، ص471.

ب/ صحيح البخاري:

هو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، حيث أورد الورثيلاني بعض من أحاديث البخاري وهي: "إنما صلى الظهر صلى الله عليه وسلم بمكة"[1] فقد ذكرها حينما كان يسرد ما فعله بعد فراغه من الطواف، وكان ذلك حبا لما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم، فبعد أن انتهى الورثيلاني من الطواف اشترى الزاد والماء وفضل إقامة الصلاة في مكان الذي أقام فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فكل الناس جعلوه قبلة للصلاة والدعاء فيه.

ثم تحدث عن عظمة وجلال وسمو غار حراء وذهاب الحزن الذي يزوره وقال عنه بأنه مكان الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم: "وفيه نزل الوحي أول ما نزل وفيه نزلت سورة اقرأ"[2]، وبهذا يريد الورثيلاني أن يبيّن مكانة الزمان والمكان والشخصيات فذكر الحوار الذي دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق، وما قال الرسول صلى الله عليه وسلم له لكي لا يخاف ولا يحزن، ويقر بمكان نزول الوحي وما يحمله من قيمة ومكانته عظيمة.

ووظّف أيضا قوله: "رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة"[3] فهذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم والبخاري فصل فيه أما الورثيلاني فذكره في رحلته كنموذج، ويقصد بالحديث الشريف أنها كاسية في الدنيا لكن هذا اللباس الذي تلبسه يعني يزيدها عريا والعياذ بالله، كأن تلبس ثيابا شفافا، وجاء في وصف هذا النوع من النساء في الحديث الآخر لقوله صلى الله عليه وسلم: (ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن كأسنمة البخت

[1]- الرحلة، ص398.

[2]- الرحلة، ص407.

[3]- الرحلة، ص407.

المائلة يدخلن ولا يجدن ريحها)، معناه كاسيات بثياب قصيرة، لا ستر، تلبس الثياب التي إلى الركبة، أو بعض الفخذ، أو إلى بعض الساق، وتكشف الرأس، كل هذه كسوة عارية، فلا تكون الكسوة كافية إلى إذا كانت سائرة للمرأة كلها، فالنساء الكاسيات العاريات هن التي يلبسن لباسا لا يسترهن، إما لقصره، وإما لرقته، وإما لضيقه حتى تبدو أحجام عورتها، هذه كاسية بالاسم عارية في الحقيقة، وأما مائلات مميلات، فهن المائلات عن العفة، مائلات عن الاستقامة إلى الفواحش والمنكرات يعني مائلات عن الاستقامة والعفة والصبر على ما أوجب الله، إلى ما حرم الله من الزنا، والفواحش.

المبحث الثاني: الخبر الاجتماعي

المطلب الأول: المظاهر الاجتماعية

يعيش الناس في هذه الحياة عيشا مشتركا ضمن جماعات لها خصائصها التي تتميز بها، حيث يؤدي هذا العيش المشترك إلى خلق العديد من الأفعال المتشابهة فيما بينهم والتي تعرف باسم المظاهر الاجتماعية، وهي من أهم ما يؤثر على مضمون المجتمع، ومقدار انسانيته، وطريقة تفكيره، ولقد خلق الله الانسان وجعل له الميل الشديد للعيش في داخل التجمعات، حيث يفضّل الانسان العيش داخل مجتمعات عن العيش في وحدة وعزلة عن المجتمع.

ويرتبط الاسنان مع الأفراد الذين حوله بعلاقات يسودها التفاعل والتعاون والحب سواء كانت علاقات أسرية أو علاقات صداقة أو علاقات عمل وما غير ذلك من العلاقات الاجتماعية المختلفة التي تفرض على الانسان أن يختلط مع من غيره والرحلة الورثيلانية سجّلت حافلا وحيزا كبير بأخبار الناس وعاداتهم وتقاليدهم وظروفهم الاجتماعية ويتجلى ذلك من خلال:

أ/ الطعام:

هو مركب حضاري في تركيبه ليس ماديا فحسب له معنويات ودلالات لفظية تعتبر عن أصالة كل مكان، إذ نجد الرحالة في مدونته يخبرنا عن الحج في مدينة ساحل حامد "فنزلنا ساحل حامد وفي تلك الأوعار كان أولاد الشيخ بوعصيدة الذين كانت عادتهم يضعون مائدة من العصيدة للركب بلحم"[1]، أي من عاداتهم إكرام الضيف والترحيب به بتقديم الطيف التقليدي وهو العصيدة باللحم.

[1]– الورثيلاني، نزهة الانتظار، بيرفونتانا، ص178.

وعند مروره ببلدة "زلتين" وهي "بلدة واقعة في طرابلس أتاهم الشيخ سيدي سالم القطيسي طبقا من اللحم والكسكس والتمر والرمان".[1]

وفي طريقهم إلى مصر بالتحديد الاسكندرية مدينة مر "ببرقة" حيث قدمت لهم أشهى الأطباق والمأكولات من الجوز والسفرجل السمن واللحم".[2]

كما خصّ الذكر مشروب القهوة إذ قال أنه: "مشروب اختلفت حوله الآراء إذ اعتبر بمثابة دواء يزيل كل ما يحصل بالرأس من تدويخ بسبب السهر والتعب واللهو وخلو للمعدة صباحا فإذا شربها الانسان وجد أعضاءه نشاطا وأحسن بخفة وشاربيها فريقين فريق يشربها في مكان مزخرف من اللهو وحضور الجواري والغناء، وفريق يشربها في مساكنهم وحوانتهم وقد يتضرروا بتركها.[3]

يتّضح مما سبق أن الرّحالة قدّم صورة حسنة طيبة عن كل أهل البلدان العربية التي مر بها، وما قدموا لهم من حسن الضيافة وكرمهم وجوده عليهم وإحساسهم بالراحة، والأمان وإكرام الضيف قيمة من القيم الحميدة التي توارثها العرب واشتهروا بها، وضرب المثل بكثير منهم في هذا المجال في الجاهلية وراحة من تحب السفر ومشقته، إذ نجد أن كل الأماكن تشابه في أكلها، إلا أن التسمية فقط يختلف من بلد لآخر.

ب/ اللباس:

يُعد اللباس شكلا من أشكال الحضارة، فهو يعبر عن ميزات كل بلد، ولكل منطقة زيها الخاص بها الذي يتميز به عن باقي المناطق الأخرى، وهو كل ما ذكره لنا الرحالة في رحلته من خلال التحدث "عن ملابس السناجق والولاة والأمراء والقضاة في أثناء خروجهم في

[1]- المصدر نفسه، ص185.

[2]- المصدر نفسه، ص221.

[3]- الرحلة، ص267.

النصف من شوال أو قبله في مدينة الشورة كل واحد مع أتباعه ولكل واحد مجلس معلوم في السجاقة المضروبة ومجلس الباشا في الوسط ... فتخرج أمامه طائفة من الشاوشية على أرجلهم جلود النمر وعلى رؤوسهم طراطير طويلة من اللمط لها ذيول معكوفة بين أكتفاهم وعلى جباههم صفائح من الفضة مستطيلة مع الطراطير التي فوقها، مموها بالذهب تلمع لمعانا". [1]

كما ذكر كيفية كسوة الجمل إذ يرضع بالذهب من رقبته لسائر أعضائه، جلده مخصوب كله الحناء ثم يحملونها على رؤوسهم ويتبرّكون بها.[2]

وتحدّث أيضا عن في أثناء هودته من الديّا المقدسة ودخولهم مصر عن ملابسهم الفاخرة التي طغت الأسواق وتخطف نظر كل من مر بها.[3]

أخبرنا الورثيلاني أن الرّحالة والركب الذين ذهبوا معه عندما مروا بقرية رابغ "اشتغلوا بغسل ملابسهم وتنظيفها وشراء النعال".[4]

تتميز الكثير من البلدان بنمط معين من الملابس ويرجع ذلك لثقافة كل بلد والعادات والتقاليد التي ينشأ عليها أفراد المجتمعات وبهذا قدّم لنا الورثيلاني فكرة عن كيفية لباس الملوك والأمراء وأنه لباس مصنوع من جلد الحيوانات، كما تحدث عن الجمل وطريقة كسوته بالذهب والمعروف أن الذهب صيغة تتزين بها النساء في المناسبات والأفراح.

[1]- الرحلة، ص262.

[2]- الرحلة، ص263.

[3]- الرحلة، ص555.

[4]- الرحلة، ص358.

ج/ الزواج:

يختلف الزواج من إقليم لآخر من حيث التحضيرات والأكل واللباس والأطباق أو طريقة الامتثال والزينة وغيرها، ومن هذه التحضيرات لية الزواج فالورثيلاني قال في ذلك: "أن في ليلة الدخلة أتى الرجل ومعه جماعة كبيرة من أصحابه وأقاربه وأهله ومعهم الشموع حتى يوقف به على باب المسجد بعد العشاء الأخيرة فيدخل ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو فيخرج ثم يذهب به كذلك فيزفونه بالغناء والأهاليل إلى بيت المرأة في دار أهلها".[1]

فالرّحالة هنا استغربوا من عادة أهل المدينة في الزواج حيث يزف الرجل ويؤخذ إلى بيت العروس عكس عاداتنا أين تزف المرأة إلى بيت زوجها وتبقى هناك لتأسس أسرة وتستقر في بيتها.

المطلب الثاني: العادات والتقاليد في رحلة الحسين الورثيلاني

العادات هي أعراف يتوارثها الأجيال لتصبح جزء من عقيدتهم، وتستمر ما دامت تتعلق بالمعتقدات على أنها موروث ثقافي فهي تعبير عن معتقد معين، أما التقاليد فهي مجموعة من قواعد السلوك التي تنتج عن اتفاق مجموعة من الأشخاص وتستمد قوتها من المجتمع، وتدل على الأفعال الماضية القديمة الممتدة عبر الزمن، والحكم المتراكمة التي مر بها المجتمع ويتناقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل، وهي عادات اجتماعية استمرت فترات طويلة حتى أصبحت تقليدا، ويتم اقتباسها من الماضي إلى الحاضر ثم إلى المستقبل، فهي بمثابة نظام داخلي لمجتمع معين.

[1]– الرحلة، ص510.

فجميع شعوب العالم لها عاداتها وتقاليدها المختلفة ونرى أن هذه العادات والتقاليد متشابهة بين البلدان العربية حيث قلما نجدا اختلافا وإن وجد يكون اختلافا بسيطا.

ذكر الحسين الورثيلاني في رحلته العديد من العادات والتقاليد وسيقدم البعض منها:

أ/ عادات الخروج في الرحلة يوم الخميس:

من تقاليد الرحالة المسلمين الخروج يوم الخميس لما فيه من تيمن وبركة والله يحفظهم من أي مكروه قد يصيبهم أثناء رحلتهم وعلى ما يبدو أن الرحالة يقلدون بعضهم في اختيار يوم الخميس لانطلاق رحلاتهم، من الرحالة الذين عملوا بهذا الحديث العياشي "[1]. إذا أشار إليه في رحلته قال: "خرجنا من بلدنا ... صبيحة يوم الخميس أول ربيع الثاني وتوخينا ذلك اليوم وجاء بركة قول النبي صلى الله عليه اللهم بارك لأمتي بكورها يوم الخميس".[2]

الورثيلاني نفسه اختار يوم الخميس لبداية رحلته وهو يصرح بذلك قائلا: "خرجنا يوم الخميس لما فيه من التيمن والبركة، في كل سكون وحركة، كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ثم يقينا كذلك على التوديع إلى أن غربت الشمس بل إلى صلاة العشاء والناس تقدم إلينا لتذكرنا الانفصال، والافتراق والانتقال".[3]

---

[1]– أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، رحالة وفقيه مغربي صاحب الرحلة العياشية، إلى البقاع الحجازية،ت سعيد الفاضلي و سليمان القرشي،دار السويدي للنشر و التوزيع،أبوظبي،ط1،2006م،ص62.

[2]– أبو سالم عبد الله العياشي، الرحلة العياشية، ت: سعيد الفاضلي وسليمان القريشي، دار السويدي، للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط1، 2006، ص67.

[3]– الرحلة، ص107.

ب/ زيارة الأولياء الصالحين لطلب الحاجات:

ذكر الرحالة الطريقة التي يطلب بها الناس حاجياتهم من الله عن طريق الأولياء الصالحين يقول: "من أتى زائرا لضريح ولي من أوليائه أو نبي من أنبيائه أو صالح من صلحائه يقف عند رجليه أو عند وجهه مستقبلا المزور ثم يسأل الله تعالى بجاهل أن يمن عليه بغية المستول والمأمول من خير الدنيا والآخرة"[1] ويقول أعدية كثيرة منها: "اللهم بجاه أنبيائك وأصفيائك وصهيب وعمار بن ياسر وأويس القرني وعبد الله بن الحصين وعبد الله بن المبارك (وأبي يزيد البسطامي وأبي القاسم الجنيد ولا أدري هل زاد معروفا الكرخي أم لا وبجاه صاحب هذا الضريح فلان بن فلان أن تمن علي بكذا وكذا"[2] وكان الورثيلاني محب لهذه الزيارات ومحافظ على أدائها في المناسبات.

ج/ اللهو والطرب في النصف من شعبان:

من العادات في أيام الموسم بالمدينة طبخ أشهى وألذ الأطباق، بيع ولبس الملابس الفاخرة وبضائع كثيرة وثمينة، مع مختلف العبادات من تكبير وصلاة وقراءة والذبح وإطعام الناس والتصدق ورمي الجمار[3] قال الورثيلاني في أهل المدينة أنهم: "يخرجون إليها بالأخبية والأطعمة الكثيرة ويبيتون بها في لهو وطرب وهي يوم النصف من شعبان"[4] ومن عاداتهم أيضا يخرجون من منازلهم ويأخذون الطعام لقضاء القيلولة، ومن عادات نسائهم الخروج إلى التنزه في البساتين والأماكن الشاسعة الواسعة لطبخ مختلف أنواع الأطعمة والمأكولات، وخروج الرجال إلى المساجد والتبرك بها والصلاة فيها، ويعلّق الورثيلاني على هذا الأمر أنه من العادات المذمومة التي تكلف الأزواج ما لا يقدرون عليه: "في موسم الحج ويخرج أهل

[1]- الرحلة، ص145.

[2]- الرحلة، ص145.

[3]- ينظر: الرحلة، ص516.

[4]- الرحلة، ص549.

المدينة إلا القليل بأولادهم ونسائهم ويخرجون معهم المضارب الحسان والخيام الكبار ويخرج أمراء المدينة وعسكرها وتنصب الأسواق العظيمة هنالك يخرجون من أوائل رجب ويتلاحق الناس كل على قدر حاله فيتكامل خروجهم في اليوم الثاني عشر وهو اليوم المشهود عندهم ويوم الزينة فلا يبقى بالمدينة إلا أهل الأعذار ومن شاكلهم".[1]

يخرجون للطرب واللهو واللعب والرمي بالمدافع والمحارق ويبيتون طوال الليل في القراءة وزيارة المقابر وإشعال الشموع.

د/ عادات أهل المدينة يوم الجمعة:

لأهل المدينة عدة عادات يقومون بها يوم الجمعة ذكرها الحسين الورثيلاني منها وعلى الخصوص الخروج للبقيع وكنس المسجد النبوي يقول في ذلك: "ومن عادته في يوم الجمعة الخروج للبقيع ووضع الرياحين الكثيرة على القبور"[2]، ون عاداتهم أيضا: "يوم الجمعة أن يكنس المسجد النبوي كله ويؤتى بأغطية من ديباح أسود مخوص بالذهب فتعلق على أبواب المسجد ويؤتى بِرَايَتَيْنِ سَوْدَوَينِ من ديباج مخوص أيضا فيركزان عن يمين المنبر وشماله وتكسى درج المنبر من أعلاه إلى أسفله ديباجا من ذلك النعت ويعلق أيضا على أبواب الحجرة الشريفة".[3]

هـ/ عادة تعطيل التدريس يوم الثلاثاء ويوم الجمعة:

يخبرنا الورثلاني أن أهل المدينة إجازتهم في المكاتب والمدارس تكون يوم الثلاثاء والجمعة وفي المغرب أي (الجزائر) يختلفان في يوم الثلاثاء بالمدينة والخميس بالجزائر، ويتفقان في يوم الجمعة كونهما بلدان إسلاميان، وهذا اليوم عند المسلمين يوم عظيم من أيام

[1]- الرحلة، ص554.

[2]- الرحلة، ص585.

[3]- الرحلة، ص585.

الأسبوع خصصه الله عز وجل للعبادة وطاعة الله في الأيام الأخرى يعيشون حياتهم بما يخص كل بلدة.[1]

و/ عادة التهنئة بالشهر:

ومن عادات أهل الحرمين الشريفين: "التهنئة بالشهر أي شهر كان خلاف المعتاد لدينا بالمغرب فإن التهنئة عندنا إنما تكون بالأعياد وما شاكلها ولدبهم لابد من تهنئة في أول يوم من كل شهر فيذهب كل واحد إلى من له عليه حق بولاية أو شيخوخة أو صحبة حتى يهنئه بالشهر في منزله".[2]

ز/ عادة استقبال الحجاج:

حدثنا عن عادة استقبال الحجاج عند العودة إلى الديار حيث يقول: "وصلنا زمورة[3] فلما سمعوا بنا لقينا من بها من اعامة والخاصة فرحين مسرورين ببنادقهم وغير ذلك من أنواع الفرح فكل يعزم علينا ويرغب في المبيت عنده إلى أن وصلوا إلى الفتنة والهرم بسبب ذلك"[4] وهي عادة تكشف لنا مكانة الحج عند الناس ومنزلة الحاج وهي عادة ما زالت إلى يومنا هذا حيث يحتفي بالحجاج وتقام لهم الولائم ويأتي الناس للتهنئة ونيل البركة.

المطلب الثالث: المظاهر السيئة التي ذكرت في الرحلة

يُعتبر الورثيلاني من أكثر الرّحالين عناية بالأوضاع الاجتماعية في المناطق التي مر بها، فتراه يحدثنا عن حالات الاستقرار والاضطراب وعن ممارسات الأمن من جراء

---

[1]- الرحلة، ص586.

[2]- الرحلة، ص587.

[3]- زمورة هي إحدى الدوائر التابعة لولاية غليزان، وتعتبر أقدم منطقة في الولاية.

[4]- الرحلة، ص806.

للصوصية إلى احترفتها بعض القبائل على مسالك طرقان الحجيج واستعمالها للنهب والقتل والفتك،[1]، فقد ساعدته رحلاته وأسفاره على إعطاء نظرة شاملة عن حالة المجتمع الإسلامي وذلك من خلال تقربه من الفئة العليا كالحكام والعلماء وكذا فئة عامة الناس وزياراته لمختلف المدن والقرى، والمساجد والأسواق وغيرها، فنجد من بين أهم المظاهر التي ذكرها مسألة الفساد الديني والخلقي، وانتشار الصفات القبيحة الرشوة والوشاية والظلم والسرقة.

أ/ الفساد الديني والخلقي:

كان الفساد الديني في المجتمع الإسلامي خلال تلك الفترة منتشرا بكثرة، فقد انتشرت الفوضى بين السكان والقبائل، بل ووصلت حتى الحكام، فذكر الورثيلاني بعض الصفات القبيحة في الفساد الديني، من خلال رحلته، ومثال ذلك ما حصل في قريته بني ورثلان قبل حجته الثالثة من انتشار للفتنة بها والخروج عن طاعة الله ورسوله في الأحكام الشرعية والبعثة والطعن في الأحكام الشرعية ونبذ العوائد وظهور البدع كقطع الميراث وأكل أموال الناس بالباطل.[2]

أما الفساد الخلقي فقد عاب الورثلاني على المجتمع الإسلامي بعض الصفات التي كنت تمد بصلة للدين واستنكرها وحاول محاربتها، ومن بين ما ذكره من هذه الصفات الاختلاط بين النساء والرجال، فذكر حادثة حصلت معه في مدينة ..... بتونس والتي قال عنها أنها قرية ذات نخل وماء وفيها حمام حيث كانت توجد خارجه نهر يجتمع فيه

[1]– حنيني هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص225.

[2]– الحسين الورثيلاني، نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار، نص: محمد بن أبي شنب، مطبعة .....، الشرقية الجزائر، 1908، ص04.

الرجال والنساء من غير ستر في النهار، وكل واحد منهم يرى عورة الآخر من غير تغيير ولا تنكير.[1]

ب/ الصفات القبيحة في المجتمع الإسلامي:

ذكر الورثلاني الصفات القبيحة التي كانت تسود خلال تلك الفترة من ظلم وسحر وشعوذة وسرقة، فتكلم عن بعض الصفات التي امتاز بها بعض أهالي مصر، حيث ذكر تعسف والي بولاف وظلمه للحجاج بقوله: "إن ظلم ولاتها قد وصل كل جنس من أجناس الأدميين حتى بلغ ظلمه الحاج المغربي والعلماء والطلبة والفقراء والأشياخ والصناع والتجار وسائر الناس قاطبة، ولذلك ابتلاهم الله بالشقاق والفتنة، فكانت مصر لمن غلب".[2]

أما في الحج، فأوضح صورة الشيالين الذين يحملون متاع الحجاج وأخبرنا عن أقبح الصفات التي امتازوا بها كالمكر والغدر والاحتيال على حجاج بيت الله دون خوف أو رهبة فيقول عنهم: "فلا تغتر أيها الحاج بحلاوة اللسان من الشياطين ولا بإظهار المودة ولا بكثرة ... فإنهم ذئاب في ثياب ... فلا يعتبرون عهدا أو مودة ولا يمينا ولا محبة ولا شيئا ولا وليا إلا المكر والخديعة".[3]

[1]– الحسين الورثيلاني، المصدر السابق، ص127.

[2]– حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص225، ص226.

[3]– نفسه، ص226.

المبحث الثالث: الخبر السياسي في الرحلة الورثيلانية

المطلب الأول: أخبار البلدان العربية تحت الحكم العثماني

تُعد الرحلة الورثيلانية من أهم الرحلات الجزائرية في الفترة العثمانية، فهي تنقل لنا الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى التاريخية التي خاضتها الدول العربية آنذاك مثل: الجزائر وتونس وطرابلس، فقد مرت الامبراطورية العثمانية بمراحل دول مختلفة في مناطق متنوعة، عرضت فيه توحيد المسلمين، وتصدي الغرب من انتشار نفوذه في العالم الإسلامي.

فمن خلال نظرة الورثيلاني لظروف ومعاناة البلدان العربية التي سيطرتها الدولة العثمانية، يبدو أنه غير راض تماما عن نظام الحكم الذي كان سائدا آنذاك، حيث أخبرنا عن ظلم وقساوة الولاة في الدول التي مر بها في رحلته:

أ/ الجزائر:

ففي الجزائر أخبرنا الورثيلاني عن مدينة قسنطينة قائلا: "عساكره كثيرة، تنفذ منها للجزائر أموال عظيمة من المغرم ومددها قوي وظلمها كثير".[1]

ب/ تونس:

أما في تونس فذكر لنا أنه صادق وجوده بتوزر، تونس في رحلة سابقة، مجيء أمير تونس رمضان باي، فكان هذا الأخير يأتي "لقبض الخراج الموظف على البلد كما هي

[1]– الحسين بن محمد الورثيلاني ، الرحلة الورثيلانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، مج2، ط1، 2006، ص791.

سنتهم وسنة من اقتدى بهم قطعها الله من سنة وأخلى منها جميع أراضي الإسلام بلا محنة وملاها بالعدل المستقيم والدين القويم".[1]

وأخبرنا أيضا عن كثرة جور الأتراك وظلهم قائلا: "وقد كثر جور الأتراك بهذه البلاد، وشاع بها الظلم والفساد، أخبرني بعضهم إنهم كانوا يعطون ستة نواصر على كل نخلة وأربعة على كل زيتونة، والناصري اسم لسكة عندهم معروفة اثنان وخمسون في كل ريال لكل عام، وأخبرني بعض الشرطيين في الحجة قبل هذه أن خراج الجريد من نقطة إلى قابس خمسمائة ألف ريال لكل عام، وخراج جربة وحدها ستون ألفا ومئونة مائتي صبايحي (ربما الفارس) من البر والأرز والسمن والخل والزيت واللحم، فالله تعالى يقطع جور الجائرين ولا يصلح عمل المفسدين".[2]

ج/ طرابلس:

أما فيما يخص مدينة طرابلس فقد حدثنا الورثيلاني عن الفتن والتمرّدات وحركات الهرج التي دارت بين العرب وأولا الترك وقبائل شتى: "ثم مررنا بالزاوية الغربية وهي بلدة عظيمة قد جمعت ووعت أجناس الخلق وأصنافه من العرب وأولاد الترك وقبائل شتى، فلما فسد رأيهم وتقوى فيهم الإهمال وضعف فيهم حكم السلطان اضطربت فيهم الفتنة وعظم فيهم المرج وصاروا إلى القتال، انقسمت عليهم الأعراب، أو أن السلطات رأى لهم ذلك لأن فيهم العمال والقادة وأرباب الدولة.[3]

[1]– المصدر نفسه، مج1، ص156.

[2]– المصدر نفسه، مج1، ص157.

[3]– المصدر نفسه، مج2، ص742.

نستنتج ما سبق ذكره في الرحلة أن الورثيلاني أخبرنا من مظاهر كثيرة لظلم الولاة والحكام الأتراك في المناطق التي استولت عليها، ما نتج عنه من دمار وخراب، محاولا في ذلك إعادة الأمن والاستقرار في بعض المناطق.

المطلب الثاني: الخلافات السياسية

ذكر الورثيلاني الصراعات السياسية التي حصلت في تلك الحقبة ودونها مثلما حصل في مدينة بسكرة: "أنها ابتلبت بتحالف الترك عليها وعساكر العرب، فيستولي عليها هؤلاء تارة وهؤلاء تارة إلى أن بنى الترك حصنا حصينا على رأس العين التي يأتي الماء منها إلى بسكرة فملكوا البلد وأضروا بأهلها وأجحفوا بهم"[1] وهذا بسبب المعاش.

المطلب الثالث: الحروب السياسية

خلال فترة الدايات بالجزائر كانت تحدث حروب الإيالات العثمانية خاصة وأن السلطان العثماني لم تعد له السلطة المطلقة عليهم، حيث تحدث الورثيلاني على بعض الأحداث والوقائع التاريخية السياسية لهذه الحروب حيث قال: "... فلما التقى الجمعان نشأ بينهم الحرب والفتنة والأخذ والموت فأنجلى النوائل من بلادهم أجلوهم من جهة المغرب وورغمة، ومن نحى سبيلهم من حليفهم من جهة المشرق العجيلات والزوارات، وغير ذلك ممن يحالفهم فكان المرابطون أعلى أولاد مريم والحمارنة مع رغمة فوقع لهم بعض التعدي بسبب مجاورتهم ومحبتهم إياهم".[2]

[1]– الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، مج1، ط1، 2006، ص117.

[2]– المصدر نفسه، ص750.

المبحث الرابع: الخبر التاريخي

المطلب الأول: تاريخ المدن العربية في رحلة الورثيلاني

تُعد الرحلة الورثيلانية مصدرا من المصادر العلمية في عملية التدوين التاريخي، يلجأ المؤرّخ إليها في بناء وقائع تاريخية، لأنها حافلة بالتواريخ والمعالم التاريخية التي شهدها صاحب الرحلة أو تنقلها مشافهة.

فمن خلال رحلته للبلدان العربية أثناء زيارته لها انطلق من موطنه:

أ/ الجزائر (قسنطينة):

تحدث الورثيلاني عن تاريخ مدينة قسنطينة وموقعها للحصين بأنها تعود كما سمع إلى عهد إبراهيم الخليل عليه السلام قائلا: "وقد سمعنا أنها من عهد إبراهيم الخليل عليه السلام لم يطفأ لها سراج ولا استقوا فيها أمير دائما هي لنائب السلطان وهي من افريقية وأحسن عمالتها".[1]

ب/ تونس:

ذكر الورثيلاني تاريخ تونس قائلا أنها: "وهي مدينة إسلامية أحدثت عام ثمانين من الهجرة ... وهي قاعدة البلاد الإفريقية وأم بلادها وحضرة السلاطين"[2] فهي ليست تاريخ دولة عربية فقط تقع في شمال إفريقيا، بل هي جزء من تاريخ العديد من الحضارات التي تعاقبت عليها عبر التاريخ.

[1]– الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، مج2، ص772.
[2]– المصدر نفسه، مج2، ص791.

ج/ طرابلس:

أما عن تاريخ طرابلس فقد أخبرنا أن عمر بن العاص هو من افتتحها قائلا: "غزا عمر بن العاص مدينة طرابلس، وهي حد افريقية على ما سبق سنة ثلاث وعشرين ونقل في سنة اثنين وعشرين".[1]

فكانت هذه المدينة ذات أسوار عالية وحصون منيعة، مما جعلّ أمر الاستيلاء عليها صعبا، فكان أهل طرابلس قد علموا بما حدث في برقة، فتحصنوا داخل مدينتهم وحاصرهم عمر رضي الله بالجيش لمدة شهر دون الدخول إليها: "... فنظر المدجلى وأصحابه إلى البحر قد حسر من جهة المدينة عن مسلك يمكن النفوذ إليها، فندبوا معهم جماعة واقتحموا المدينة".[2]

فحدثت معجزة انحسار الماء عن الشاطئ في أيام الجزر، فأصبح دخول المدينة سهلا من جهة الشاطئ بعد جفافه، تدفق الجيش الإسلامي إلى المدينة من جهة الشاطئ وما لبث أن فتحها.

أراد عمر بن العاص دخول طرابلس والاستيلاء عليها السيطرة على القبائل المقيمة داخل الصحراء حتى لا تهب منها هجمات على المدينتين برقة وطرابلس، وأيضا من أجل نشر الإسلام فيها.

[1]– المصدر نفسه، مج2، ص778.

[2]– أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، د ط، 1981، ص239.

المطلب الثاني: خبر الكاهنة مع حساب بن النعمان

أخبرنا الورثيلاني في رحلته عن واقعة تاريخية قصتها الكاهنة وملك افريقية حسان بن النعمان بسبب أسرها لأصحابه الثلاثين رجلا تقريبا في قوله: "... وأسرت الكاهنة من أصحاب حسان ثلاثين رجلا منهم خالد بن يزيد العبسي".[1]

حاول حسان أن يرجع أصحابه إلا أن الكاهنة سبقته وأطلقت سراحهم إلا خالد بن يزيد لتنتقم منه على أخذه مملكة إفريقية، فاشتدت الحرب بينهما فقامت بالهروب حتى وجدها وقطع رأسها غبرة.

قيل فيها ابن خلدون:

"الخبر في الكاهنة وقومها جراوة من زنانة، وشأنهم مع المسلمين عند الفتح ... وكان للكاهنة ابنان قد لحقا بحسان بن النعمان وحسن إسلامهما واستقامت طاعتهما، وعقد لهما على قومهما جراوة ومن انضوى إليهم بجبل أوراس، ثم افترق فلهم من بعد ذلك وانقرض أمرهم، وافترق جراوة أوزاعا بين قبائل البربر".[2]

سميت بالكاهنة "على أنها كانت وثنية تعبد منها من خشب وتنقله على جمل، وقبل كل معركة تبخره وترقص حوله فسماها العرب الكاهنة أي (التفازة أو القرانة)".

نستنتج ما سبق ذكره أن هذه الكاهنة قائدة عسكرية وملكة أمازيغية حكمت شمال افريقيا، قادت عدة حملات ومعارك ضد الرومان والأعراب والبزنطيين في سبيل استعادة الأراضي الأمازيغية.

---

[1]– الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، مج1، ص131.

[2]– بن خلدون، كتاب العبر، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص12– 13.

بعد انهزام حسان أمام الكاهنة في معركة الأولى، أفرجت عن جميع الأسرى وأعطتهم الحرية بعد أن رأت بأم عينها سلوكهم وتعاملهم البسيط الموافق لفطرة الأمازيغ، ثم قررت ابقاء أسير فكان خالد بن يزيد تبنته وأقام عندها وعاش مع الأبناء الآخرين، ربما لأنها كانت تسعى من وراء ذلك إلى معرفة خطط قوادهم وكيف يفكرون وربما قربته ليفشي لها أسرار كل الخطط الهجومية التي يمكن أن يلتجئ إليها حسان بن النعمان في المستقبل.

فشبت معركة أخرى بين الكاهنة وحسان بن النعمان في منطقة جبال الأوراس فانهزمت فيها وأسباب انهزامها هو أن خالد الذي تبنته خانها وغدر بها وشوب أخبار جيشها وخططها إلى حسن بن النعمان.

المطلب الثالث: بناء الاسكندرية

تعدّدت الأخبار حول بناء الإسكندرية منها: "أنه هناك من قال أن أول من قام ببنائها الإسكندر، وهناك من قال من بناء "دلوكة" ملكة مصر، ويقال: أن طولها كان ألف ذراع وكان في أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال قد أشارة بسبابه يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الملك يدور معها حيث دارت ومنها تمثال وجهه إلى البحر ... ومنها تمثال كلما مضحت من الليل ساعة صوت صوتا مطربا وكان بأعلاها مرآة ترى القسطنطينية".[1]

وقيل: "أن ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخمها بالرخام الأبيض جدارها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد والحمرة فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوع بياض الرخام ولم يكون يسرجون فيها بالليل من بياض الرخام، إذ كان القمر أدخل الرجل الذي يخيط بالليل

[1]– الرحلة، ج2، ص651.

ضوء القمر في بياض الرخام في حجر الإبرة وكانت الاسكندرية بيضاء تضيء بالليل والنهار".[1]

من خلال ما سبق ذكره نجد أن الرّحالة أخبرنا بالعديد من الوقائع التاريخية حول بناء الاسكندرية والتي بقيت لغزا إلى يومنا هذا، فالقصص التاريخية هي أفضل وسيلة للتواصل بين شعوب الأرض وحضارتها لأنها تعزز العمق الثقافي بين مختلف الجنسيات والأعراق والثقافات.

[1]– نفس المصدر، ج2، ص649.

الخاتمة

الخاتمة:

وفي ختامنا لموضوع بحثنا المعنون ب: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار الرحلة الورثيلانية أنموذجا" استخلصنا مجموعة من النتائج نلخص أهم ما جاء فيها:

- تعد رحلة الورثيلاني من أهم رحلات القرن 18هـ، تكمن أهميتها في كونها مادة تاريخية يلجأ إليها المؤرخ في بناء الوقائع التاريخية لأنها تزخر بالتواريخ والشروحات حول الأحداث والمعالم التاريخية التي شاهدها صاحب الرحلة مشاهدة أو تنقلها مشافهة.

- تضمنت الرحلة الكثير من الأخبار منها ما هو ديني، اجتماعي، تاريخي وسياسي فعبرت عن مشاهدات واقعية سجلها صاحب الرحلة خلال محطات مختلفة من رحلته.

- نقل أخبار أهل بلاده الجزائر في السياسة والتصوّف والعلم وأضاف لها عادات وتقاليد وتاريخ سكان البلاد العربية، وفصل في الأخبار المشرق خاصة مصر الذي ذكر عجائبها.

- زين كتابه بأخبار مفصلة عن الخلافة الإسلامية وعن فتح البلدان بما يجعل إنجاز الورثيلاني عملا موسوعيا وتاريخيا.

وفي الختام نقول أن الخبر نوع من الأنواع السردية، بل إن كل نوع سردي يبنى عليه فهو أصغر وحدة حكائية، وأيا كان نوع الخبرة لابد له من فائدة ينطوي عليها ويرمي المتكلم إيصالها للمخاطب.

الملاحـــق

الملاحق:

ملحق1:

1-اسمه ونسبه:

هو الحسين بن محمود السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن يحي بن أحمد الشريف بن علي البكائي الببائي والورثيلاني[1] نسبة إلى بني ورثيلان[2]،وهي قبيلة بالمغرب الأوسط قرب بجاية التابعة للجزائر[3]، ويعود نسبه إلى شرفاء تافيلالن بالمغرب الاقصى[4]، وهو من أسرة عربية شريفة، جاء جده من ميلة وصاهر أسرة محمد أمقران حاكم منطقة قترات، واصبح شيخ علم معترفا به وأسس نفوذ الاسرة الروحي في المنطقة، وهكذا اجتمع في أصول الورثلاني الديني والدنيا، التي عن طريق جده ووالده والذين كانا من المرابطين، والوالدينا عن طريق اقواله أولاد أمقران الذين كانوا حكاما ورجال سيف[5]

2-مولده ونشأته:

ولد الحسين بن محمد الورثيلاني سنة 1125هـ/1713م بقرينة "أنو" بجوار قرية بني ورثلان[6]، حيث نشأ وتلقى مبادئ الفقه واللغة على يد أبيه وأشياخ موطنه، ثم اختلف إلى بعض الزوايا ومعاهد العلم بناحية القرقور وجهات جرجرة ودلس والجزائر، وقد ارتبط الشيخ

---

[1] الحسين الورثيلاني،المصدر السابق ص 603.

[2] يحي بوعزيز :أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1 :ك1 :دار الغرب الاسلامي،بيروت،1995،ص44

[3] الحفنأوي ابي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال اسلف، ج2، مطبعة بيرفونتانا الشرقية، الجزائر ص 137

[4] الحسين الورثيلاني، لمصدر السابق، ص 603

[5] ابو قاسم سعد، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج1، ج2، ط1، دار القرب الاسلامي، بيروت، 1998،ص394

[6] يحي بوعزويز، المرجع السابق، ص 44، ص 45

الحسين الورثلاني بطريقة الشاذلية وظل ملتزما بحياة الزهد والتقشف ومتصوغا بالجد والعمل والرغبة في الاستزادة من العلوم الفقهية واللغوية [1]

3-وظائفه :

اشتغل الورثيلاني بالعديد من الوظائف، والتي كانت من بينها التدريس، حيث درس في زأوية أبيه ببني ورثيلان، وكان له العديد من الطلبة، كما درس أيضا ببجاية التي كان يصوم رمضان بها، وذلك لتوافد العلماء عليها من جميع الاقطار[2]، ودرس ايضا بتونس مختلف العلوم والفنون، حيث بقي علمائها ومشايخها [3]، وبالاضافة إلى التدريس اشتغل الورثيلاني كمفتي ومصلح ايضا، فكان يعمل للصلح بين القبائل المتخاصمة والمتصارعة [4].

4-تلاميذه:

كان الورثيلاني مدرسا بالعديد من الزوايا : وكان له طلبة وتلاميذ كثر من مختلف المناطق، ولكنه لم يذكر منهم الا القليل في رحلته، ومنهم : التلميذ عبد القادر بن أحمد أولاد الشيخ[5]، ومنهم ايضا التلاميذ محمد الفقيه[6]، وكذلك محمد الجوادي الذي اجلسه مع الشيخ الهاشمي المغربي صاحب التآليف الكثيرة وهو من كبار علماء مصر [7]

---

[1] ناصر الدين سعيدون، من التراث التارخي والجغرافي للغرب الاسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، د، ط، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1999، ص 418

[2] الورثيلاني، المصدر السابق، ص 18

[3] نفسه،ص668

[4] نفسه،08

[5] نفسه، ص 56

[6] نفسه، ص 65

[7] نفسه ص 300

5-مؤلفاته:

ألف الورثيلاني في العديد من الاغراض وشرح وعلق على مؤلفات غيره في الفقه والحديث والتصوف والبلاغة والنحو، وقد ضاع اكثرها للأسف ونذكر منها :

-شرح على المنظومة القدسية للشيخ عبد الرحمان الاخضري في التصوف.

-شرح على الصغرى للشيخ السنوسي التلمساني.

-حاشية على حاشية الكتاني على شرح السنوسي.

-شيخ على وظيفة يحي العبدلي وبعض كراماته.

-كراس في وصف برقة الليبية ومنازلها ومياهها ومراحلها.

-ورسالة في شرح لغز صوفي للشيخ أحمد بن يوسف الملياني بعث به إلى سلطان فاس بعد ان عجز علماؤه عن فهمه والرد عليه .

-رسالة حول اختلاف العلماء والفقهاء في الازهر في تفسير أو شرح الخرشي بخطبة الشيخ خليل

-شرح كتاب الصلاة.

-شرح على وسطى السنوسي في التوحيد.

-شرح على محصل المقاصد لأحمد بن زكري التلمساني.

-حاشية على صغير الخرشي على هوامش الشرح.

-حاشية على كتاب المرادي.

-قصيدة في مدح الرسول في 500 بيت.

-كتاب رحلته " نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار"[1]69

6-وفاته:

توفي الشيخ الحسين الوريثلاني عام 1193هأ,1194هـ (1779-1780م)

بمسقط رأسه "أنو" ودفن في مقبرتها وما يزال قبره قائما يزوره الناس ويتبركون به ويتذكرون من خلاله ماضي بلاد المشرق[2]6969

ملحق2:

التعريف بالرحلة الورثيلانية:

رحلة " نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار"، تعرف بالرحلة الورثيلانية نسبة إلى الشيخ الحسين الورثيلاني، وهي رحلة عرفت باسم صاحبها، هذا امر مألوف في الرحلة عموما والغربية خصوصا، فقد كمان يغلب على اسم الرحلة، اسم صاحبها فتشتهر به، وهي من أهم الرحلات التي اشتهرت في المغرب العربي وخاصة في الجزائر وتضم الرحلة الورثيلانية معلومات قيمة، حيث قال عنها الحسين الورثيلاني هي " رحلة عظيمة يستعظمها البادي، ويستحسنها الشادي، فإنها تزهو بمحسانها عن كثير من كتب الاخبار مبينا فيها بعض الاحكام الغربية والحكايات المستحسنة والغرائب العجيبة وبعض الاحكام الشرعية مع ما فيها من تصوف" [3]

وفي هذه الرحلة يصف الورثيلاني الطريق الذي كان يسلكه الحجاج إلى مكة، ويحدثنا عن معالم الحج وتأدية مناسكه، حيث انطلق في رحلته من بجاية بالجزائر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وكان مسارها كالتالي:

---

[1] يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 46، ص 47

[2] نفسه، ص 47

[3] الحسين الورثيلاني،المصدر السابق،ص12،ص13

الجزائر ← تونس ← ليبيا ← مصر ← مكة المكرمة

وقام في رحلته بزيارة مدن كثيرة منها بجاية وهي منطقة انطلاق الرحلة والمرور بالزاب، دلس، سيدي خالد، المدية، بونة (عنابة)، قسنطينة، قابس، منستير، تبرسق، القيروان، طرابلس، ابن غازي، القاهرة وغيرا وصولا إلى مكة .

و قد كان الرحالة يقدم تقيرا عن كل مدينة يمر بها ويقدم معلومات غنية تشمل " ذكر المدن والقرى وبيان أوصافها وذكر الفلوات والصحاري والانهار والعيون وحسن بناء المدن والاسواء والحوانيت والاسواق والازقة والمساجد واتقانها والصوامع وأوصاف ما ذكر وملاقاة الرفاق والرجال من عامة المؤمنين وبيع الحوائج وشرائها"[1].

وعادة ما تكن رحلته إلى المدن الاخرى اما لزيارة قبور الأولياء الصالحين أو الاصلاح بين الناس والقبائل، والرحلة هي إحدى الوثائق الهامة التي يوثق فيها الكاتب سيرته الذاتية وكل من تعرف عليه من الشيوخ والعلماء، وعلوم الفقه والتاريخ والأدب .

دعا الرحالة في رحلته هذه إلى الصلح والتسامح بين الناس، والابتعاد عن الفتن وشهادة الزور والظلم وعدم انتهاك حقوق الانسان، ودعا ايضا إلى التقرب من الله والابتعاد عن المعاصي وكل ما يغضب الله رسوله وامر بالمعرفة ونهى عن المنكر، ولاحظنا هذا في مواقف كثيرة كتب عنها منها " فانفصلنا من مقامنا بنية الزيارة وقضاء الحوائج لبعض المسلمين من اصلاح ذات البين"[2]

ويوضح الرحالة هنا ان معظم رحلاته وسفراته كانت من أجل الصلح بين الناس ونشر التسامح بينهم، وكذا الدعوة إلى الله تعإلى والنهي عن المحرمات كما هو الشأن بالنسبة للإختلاط بالنساء حيث ينهي الرحالة الرجال الذين يختلطون بالنساء الاجانب سواءا كان من

[1] الرحلة، ص 179

[2] الرحلة، ص 18

أجل العلم أو غير ذلك حتى لو كنا صالحات قانتات فحرام بالاختلاء بالنساء وقد استشهد في ذلك بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم " ما اخلى رجل بإمرأة الاّ كان الشيطان ثالثهما" وقال أيضا "باعدوا بين أنفاس النساء وأنفاس الرجال" وقال أيضا " لو كان عرق الرجل في المشرق وعرق المرأة في الغرب أو العكس لتحانّا"[1]

[1] ينظر الرحلة، ص 624

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم :

قائمة المصادر والمراجع :

-أولا: المصادر:

-الحسين الورثيلاني نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار، تحقيق محمد بن أبي شنب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008.

- الحسين الورثيلاني " نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار، مطبعة بيرقوشانة الشرقية، الجزائر،1908".

-ثانيا: المراجع:

-الحنفأوي أبي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج2،مطبعة بيرقوشانة الشرقية، الجزائر، 1906.

-جيرالد برانس، قاموس السريات، ترجمة سيد إمام، حيريث للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

-سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة السرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 1997م

-سعاد مسكين، خزانة شهرزاد، الانواع السردية في الف ليلة وليلة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012م.

-عهبد الله ابراهيم، السردية العربية، بحث في البنية السردية : المورث الحكائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الاردن، ط2، 2002.

-محمد القاضي، الخبر في الادب العربي، دراسة في السردية العربية، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، كلية الآداب، مندوبة، تونس، ط1، 1998م.

-الفيروز ابادي مجد الدين أبي طاهر بن عمر : المحيط دار الرسالة، لبنان ،الطبعة الثامنة، 2005.

-عثمان عارف تشيكو، الخير في آثار ابن الجوزي.

-أبو محمد عبد الله إبن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس (د .ط)، 1981م.

-بوعزيز يحيى، اعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1،ط1،دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1995.

-سعد الله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830م،ج1،ج2،ط1،دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1938م.

-سعيدون ناصر الدين ،من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي تراجم مؤرخين وراحلة وجغرافيين، د، ط، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1999.

-ابن منظور لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلس الخاص .

-أبو سالم عبد الله العياشي، الرحلة العياشية، تحقيق سعد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع أبوظبي، ط1، 2006.

-بدر التهأوني، تح:عبد السلام هارون، دار العلم للملايين، سوريا، ط1، (د، ت).

-هايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر ،2008.

-الحنفأوي أبي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيرفونتانا الشرقية، الجزائر المحروسة، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1995.

-بوعزيز يحى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1995.

-ابن خلدون، كتاب العبر، ديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب والبربر من عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981م .

-عيسى بختي، أدب الرحلة الجزائري الحديث، ط1، المؤسسة الغربية للدراسات والنشر، بيروت، 2017م.

-محمد عبد الله السرد العربي، أوراق مختارة من ملتقى السرد العربي، رابطة الكتاب الاردنيي، مطبعة السفير، ط1، 2011م.

-حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991.

-دليل تقنيات التواصل ومهارات التعبير والانشاء، محمد الحاج مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2005.

-رولان بورنوف وريال أونيليه ،عالم الرواية، تر : نهاد التكرلي، مر:فؤاد التكرلي ومحسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط1 ،1991م.

-سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة 2، 2005م.

-محمد الحاتمي، الرحلات المغربية، السوسية (بين المعرفي والادبي)، مختبر البحث في التراث والإعلام والمصطلحات، الرباط، ط1، 2012م.

-عبد الرحيم مدن الرحلة المغربية في القرن 19، دار السويدي، أبوظبي، ط1،2006م.

-جوناثان كالر، النظرية الادبية، تر: رشاد عبد القادر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2006م.

-تزفيتان قودروف، الشعرية، تر : شكري المبحوث ورجاء بن سلامة، الدار البيضاء، وأديت كيرنرويل، عصر البنيوية، تر : جابر عصفور، بغداد .

-يوسف وغليسي : الشعريات والسرديات (قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم)، منشورات مخير السرد العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، د، ط، 2007م.

-عمر بن قينة، الادب الجزائري الحديث (تاريخا وانواعا وقضايا)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2،209م.

-مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.

المعاجم والقواميس والموسوعات :

-ايميل دوركايم، أصل التفكير، تر : خالد البحري، دار ابن رشيق للنشر : تونس (د،ط)، 2005.

-بدر الدين التهأوني، تح:عبد السلام هارون، دار العلم للملايين : بسوريا : ط1(د،ت)

-تودروف وأوسفالة دوكرو، القاموس الموسوعي للعلوم واللغة.

-عبد الله ابراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ببيروت، لبنان، ط1،

2008م.

الدوريات:

-حسين محمد فهيم أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفتوى والآداب، الكويت ،1989م.

الرسائل الجامعية:

-عيسى بختي : أدب الرحلة الجزائري الحديث، سياق النص وخطاب الانساق، أطروحة دكتوراه علوم في الادب الجزائري الحديث، الجزائر، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان : 2015م/2016م.

-اسماعيل زردومي، فن الرحلة في الادب المغربي القديم، مخطوط رسالة دكتوراه، الجزائر، جامعة باتنة ،2005م.

الفهرس

الفهرس

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة: .....أ

الفصل الأول: السرد والخبر في أدب الرحلة 4

تمهيد 5

المبحث الأول: مفهوم السرد والخبر في أدب الرحلة.....7

المطلب الأول :تعريف السرد الرّحلي 7

المطلب الثاني: الوضعيات السردية في أدب الرحلة.....13

المطلب الثالث: وظائف السارد الرحلي 22

المبحث الثاني: ماهية الخبر الرحلي.....24

المطلب الأول: تعريف الخبر: 24

المطلب الثاني: أنواع الخبر: 26

المطلب الثالث: علاقة السرد بالخبر:.....28

الفصل الثاني: أبعاد الخبر في الرحلة الورثلانية عند الحسين بن محمد الورثلاني.....31

المبحث الأول: الخبر الديني 32

المطلب الأول: ذكر الأولياء الصالحين ووصف الأضرحة: 32

المطلب الثاني: المساجد التي ذكرت في الرحلة الورثيلانية: 33

المطلب الثالث: العلوم الدينية 36
المبحث الثاني: الخبر الاجتماعي 45
المطلب الأول: المظاهر الاجتماعية 45
المطلب الثاني: العادات والتقاليد في رحلة الحسين الورثيلاني..... 48
المطلب الثالث: المظاهر السيئة التي ذكرت في الرحلة..... 53
المبحث الثالث: الخبر السياسي في الرحلة الورثيلانية 55
المطلب الأول: أخبار البلدان العربية تحت الحكم العثماني 55
المطلب الثاني: الخلافات السياسية..... 57
المطلب الثالث: الحروب السياسية..... 57
المبحث الرابع: الخبر التاريخي..... 58
المطلب الأول: تاريخ المدن العربية في رحلة الورثيلاني..... 58
المطلب الثاني: خبر الكاهنة مع حساب بن النعمان..... 60
المطلب الثالث: بناء الاسكندرية..... 61
الخاتمة..... 64
الملاحق..... 66
قائمة المصادر والمراجع 73
الفهرس..... 79

الملخص:

تعد رحلة الورثيلاني "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأنظار" من أهم الرحلات المغاربية، فهي مصدر أساس للمؤرخين و الباحثين ،من حيث محتواها و من حيث المرحلة التاريخية التي أرخت لها ، فقد أخبرنا فيها عن الشخصيات التي صادفها في مسار رحلته، ووصف الأماكن وصفا دقيقا ،كما سرد لنا مختلف الأحداث الدينية و الإجنماعية و السياسية و التاريخية التي لقيها، فمن المعروف أن التراث العربي القديم يشتمل على عدد من المدونات السردية و الخبرية ، فقد شكلت هذه المدونات جانبا مهما من جوانب دراسة سرد العرب القديم، فحاولنا في هذا البحث دراسة هذه الرحلة من خلال الإجابة عن هذه الإشكالية الأساسية و هي :كيف تجلّت قيمة الخبر في النص الرحلي؟.

توصلنا في النهاية الى مجموعة من النائج أهمها: أن الرحلة تضمنت الكثير من الأخبار منها ماهو ديني ،اجتماعي،سياسي،تاريخي،فعبّرت عن مشاهدات واقعية سجّلها صاحب الرحلة خلال محطات مختلفة من رحلته ،كما نجده أيضا نقل لنا أخبار بلاده الجزائر في الجانب السياسي و العلمي و أضاف لها عادات و تقاليد و تاريخ سكان البلدان العربية و فصّل في أخبار المشرق خاصة مصر الذي ذكر عجائبها، مما يجعل إنجاز الورثيلاني عملا موسوعيا تاريخيا .

الكلمات المفتاحية:الرحلة، الورثيلاني، السرد، الخبر.

Summary:

Al-Worthilani's trip, "The Journey of Enlightenment in the Virtues of History and Opinion," is considered one of the most important Maghreb trips. An accurate description, as he recounted for us the various religious, social, political and historical events that he encountered. It is known that the ancient Arab heritage includes a number of narrative and declarative blogs. These blogs formed an important aspect of the study of the ancient Arab narrative, so we tried in this research Studying this journey by answering this basic problem, which is: How was the value of the news manifested in the traveling text?

In the end, we reached a set of results, the most important of which are: that the trip included a lot of news, including what is religious, social, political, and historical. Scientific and added to it the customs, traditions, and history of the inhabitants of the Arab countries, and a chapter on the news of the East, especially Egypt, which mentioned its wonders, which makes Al-Wathilani's achievement a historical encyclopedic work.

.**Keywords**: the journey, Alorthilani, narration, news